

شرح رسالة التوحيد

المؤلف (عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني)

تأليف
الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تحقيق
صالح بن محمد النجدي

شرح
رسالة التوحيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح رسالة التوحيد

تأليف

الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره

تحقيق

صالح أحمد الدَّابَّاب

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناس

الطبعة الثانية 1428 هـ 2007 م



هوية الكتاب

- اسم الكتاب : شرح رسالة التوحيد .
اسم المؤلف : ... الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحساني قدس .
اسم المحقق : ... صالح أحمد الدّباب .
اسم الناشر : مؤسسة شمس هجر .
مكان الطباعة : بيروت لبنان .

يريد المحقق على شبكة الإنترنت

Saleh335@NASEEJ.COM

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع ...

إلى أم أبيها ...

إلى زوجة ولي الله تعالى ...

إلى من تربى على أحضانها الحسن والحسين ...

إلى من عصرت بين الحائط والباب

إلى من أسقطت جنبينها ...

إلى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء سلام الله عليها ...

راجياً منها القبول والشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا
من أتى الله بقلب سليم .

صالح أحمد الدَّباب

الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس

اسمه ونسبه قدس :

هو العلامة الجليل التقي الشيخ علي نقى^(١)، المعروف ببدر الإيمان^(٢)، ابن الشيخ الأوحد، الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفي الأحسائي .

علومه قدس :

ولا شك أن ولادة المترجم كانت في الأحساء «هجر»، وقد تتلمذ على يد أبيه، وعلى جمع من العلماء والأدباء، قال القزويني في رجاله : «الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي، وهو على ما سمعت كان جليل القدر، عظيم المنزلة، يوقرونه كمال التوقير، ويبجلونه كما هو الحال في أكثر من انتسبوا إلى الشيخ والده»^(٣) .

(١) كان معروفاً في زمانه بالشيخ علي كما صرح بذلك نظام العلماء بما كتبه بخطه في الصفحة الأولى من المجلد الثاني من الكشكول .

(٢) سماه تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحيم المازندراني، كما جاء في الصفحة الأولى من منهاج السالكين .

(٣) رجال مخطوط مكتبة ملل، رقم : ٣٥١٣ .

وقد ذكره كل من تعرض لترجمته بالإكبار والإجلال، وعظم المنزلة، ورفعة الشأن، وقيل عنه : أنه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث مع السند، وما يتلى عنده شعر إلّا قرأه من أوله إلى آخره، والمشهور عن أبيه أنه قال : علي أحفظ مني^(١) .

وقال السيد كاظم الحسيني الرشتي : ولقد سمعت أن الشيخ التقي، الصالح العلي، الشيخ علي ابن شيخنا وأستاذنا -أعلى الله مقامه- وكان من العلماء المبرزين، والفضلاء المتبحرين، وكان من حملة الأسرار، ...^(٢) .

وقال الميرزا محمد تقي الشريف الممقاني، عند تعرضه لكتاب نهج المحجة : كتاب نهج المحجة في إثبات الإمامة، للشيخ الأعظم، والطود الأفخم، بقية الأوائل، ومجمع فنون العلوم والفضائل؛ علي نقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي -أعلى الله مقامهما، ورفع في الخلد أعلامهما- كان قد تلمذ من تلامذة أبيه، جامعاً لجل العلوم العقلية والنقلية، حائراً للكمالات الصورية والمعنوية، حاملاً للأسرار، حافظاً للأخبار، حتى سمعت جماعة ينقلون عنه أنه كان يقول : أحفظ اثني عشر ألف حديث بأسانيدها، وله قد تُدْرِك في كل من علمي المعقول والمنقول مصنفات أنيقة متقنة، تشهد لصاحبها الغوص في تيار لا ساحل له، والبلوغ إلى ذروة فضل لا يحاول ...^(٣) .

(١) إجازات الحاج ميرزا موسى الأسكوئي، مخطوط ص ٣٠-١ .

(٢) شرح القصيدة، ص ٢٨٣ .

(٣) صحيفة الأبرار، ص ٤٥٦ . مقدمة نهج المحجة، ص ٢-٣ .

أسفاره قدس :

رافق أباه في أكثر أسفاره إلى العراق وإيران، وحصلت له أسفار بمفرده إلى بعض المدن العراقية والإيرانية، نظم في بعضها أبياتاً .

مؤلفاته قدس :

١- نهج المحجة في إثبات إمامة الاثني عشر عليه السلام، في مجلدين، طبع الأول في النجف سنة «١٣٧٠هـ»، مع مقدمة ضافية كتبها العلامة المجهتد الحاج ميرزا علي الحائري، وطبع الثاني في تبريز سنة «١٣٧٣هـ» .

٢- منهاج السالكين في السلوك والأخلاق، بوشر في طبعه بتبريز سنة «١٣٧٤هـ» .

٣- مشرق الأنوار في الحكمة^(١) .

٤- رسالة في رد من اعترض على والده في المعاد .

٥- رسالة في تفسير قاب قوسين .

٦- رسالة في شرح توحيد عبد الكريم الجيلاني .

٧- رسالة موسى والخضر .

٨- رسالة في علمه تعالى، وتسمى بالرسالة العلمية أيضاً .

٩- رسالة كتبها بأمر أبيه في أجوبة بعض المسائل .

(١) ذكره الميرزا موسى الإسكوتي في إجازته، ص ٣١ .

١٠ - ديوان شعر .

١١ - كشكول في مجلدين .

وله غير ذلك من الكتب في المعقول والمنقول^(١) .

وفاته ومدفنه تَدُنُّ :

ذكر وفاته تَدُنُّ تلميذه المازندراني، قال ما نصه : «تاريخ وفاة مولاي وسيدي وسندي، الحكيم العارف الزاهد، المرحوم المغفور له؛ الشيخ علي نقى بن المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، صبح يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام، سنة : ١٢٤٦هـ»، في كرمان شاهان .

ودفن في خارج البلد في الطريق الذي يروحون منه إلى كربلاء بوصية منه تَدُنُّ؛ لأنه كان ممن لا يجوز نقل الجنازة، ومات بمرض الطاعون، وقد عاش بعد والده خمس سنوات وأحد عشر يوماً^(٢) .

خطوات تحقيق هذه الرسالة :

اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة على نسختين الأولى : وهي نسخة مخطوطة، محفوظة في مكتبة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بمدينة مشهد المقدسة، تحت فهرس رقم : «٧٠٤»، والتي

(١) نهج المحجة، ج ١، ص ٤١ .

(٢) الصفحة الأخيرة من كتاب منهاج السالكين . نهج المحجة، ج ١، ص ٤-٥ .

تحميل ما بين صفحتها : «١٥ سطرًا»، ومقاس الصفحة ما بين «١٢,٥ × ٢١ سم تقريبًا»، وعدد صفحتها : «١٤٤ صفحة»، ورمزنا لها بالرمز : «ب» .

والنسخة الثانية وهي مخطوطة أيضاً، محفوظة في مكتبة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بمدينة مشهد المقدسة، تحت فهرس رقم: «١٢٨٠٤»، والتي تحمل ما بين صفحتها: «١٧ سطرًا»، ومقاس الصفحة «١٢ × ٢١ سم تقريبًا»، وعدد صفحتها ما يقرب إلى «١١٧ صفحة»، ورمزنا لها بالرمز : «ج» .

ويوجد فرق بين هاتين المخطوطتين، لأن يوجد بين المخطوطة الأولى وهي التي اعتمدنا عليها اعتماداً كلياً، وبين المخطوطة الثانية نقص في كثير من الكلمات، ونحن أثبتنا الاختلاف في الهامش بينهما بالزيادة أو النقصان .

وبعد مطابقتها وتقطيعها وترقيمها، أرجعنا الآيات والروايات التي اقتبسها المؤلف قدس إلى مصادرها الصحيحة قدر الإمكان، مع مطابقتها على المصادر التي بين أيدينا، مع ضبطها وإكمالها في الهامش، ومع ما بذل من الجهد، فقد يرى القارئ العزيز بعض الروايات التي لم يتم العثور على تخريج مصادرها في المصادر التي لدينا، فنلتمس العذر والسماح .

ولكي يستفيد القارئ الكريم أدرجنا لكل مطلب عنوان يناسبه، حتى يحصل على الفائدة المطلوبة إن شاء الله تعالى .

كلمة شكر وتقدير :

وفي الختام أحب أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب،
وعلى الخصوص الأخ الموقر سماحة الشيخ سعيد محمد القريشي،
والأخ الكريم سماحة الشيخ مجتبي طاهر السماعيل، فجزاهما الله خير
الجزاء، وجعل عملهما وعملنا ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا
من أتى الله بقلب سليم .

ونسأل الله تعالى أن يستفيد من هذا الكتاب جميع المؤمنين
والمؤمنات بحق حبيبه المصطفى محمد ﷺ، وصلى الله على محمد وآله
الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين .

الراجي عفو ربه

صالح أحمد الدُّباب

٢٢-٣-١٤٢٨هـ / ١٠-٣-٢٠٠٧م

تذكرة آستان قدس رضوي
في شهر رجب

صالح ١٢٤٨ هـ
بازين في شهر رجب

في شهر رجب ١٢٤٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جعل عن المشاكل والشاكلة المشابه فلم يعرف نوره
عن التعديد بالكمال عن النقص فلم يوصف احده بما اعطى واشكاه بما
هدى والصلوة والسلام على عبد ورسوله المعبر عنه بقوله مثل
نوره وعلى اله الطباة وصحبه الانبياء وعبد فيقول الفتي
المسكين على فني بن احمد بن زين الدين انه لما وقع بصري النادر
ونظري الناصر على رسالة لبعض اهل التصوف ممن يدعى المعرفة
والوصول فقد ضرب بينه وبينها بسوط له باب باطنه فيه الترجمة
وظاهره من قبله العذاب اذ لم يقدّم امامه مصباحاً من مشكوة
النبوة يهدي به في ظلمات الجبل ولم يركب سفن النجاة فاستبه
البيداء وصنكت به الاهواء فني يخط خط عسواء ولا يهدي
سبيلاً ولم يجد له مرسل ولا دليلاً بادر في شرح كلامه بما
فيه الخطاء من الصواب ويمينه الفسور من اللبا بعضاً بوجه
الكريم من الزلل طالبا منه السداد في القول والعمل في سنن والآله
من رجا وهو حسي ونعم الوكيل قوله بسم الله الرحمن الرحيم حمداً له

واطلاق الأسماء والصفات إذا ريد منهوماً لهما تطلق على صفة
 حادثة تنسب إليه نسبة فعلية كما قلنا سابقاً ودعوى الضم
 باطل لأنه قياس على نفسه وأبناء جنسه فلو تساوت النسبة ^{في}
 الصنات الذاتية لاقتضى ذلك التساوى في الذات أو المشاهدة
 فافهم وقوله لا خلاف في أن الموجودات الخالصة كانت في علم الله ^{موجودة}
 لعدم جهله دليل على جهله إذا العلم علماً وقد مر الكلام مستوفياً
 فيه وقوله إن شئت قلت كذا وإن شئت قلت كذا الخ ^(١) فخرج
 العبارة وقولها استنارة مبني على قدم العالم في العلم الإلهي فراجع
 ما سبق وإياك والعجلة والخطأ ثبتنا الله وإياك من الخطأ ^{والزلل}
 وهذا آخر ما اردته في شرح توحيد عبداً الكريم ابن ابراهيم الجيلا ^{في}
 وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه على نقي بن احمد بن زين ^{الدين}
 الهجري رضى يوم الجمعة آخر شهر جمادى الآخرة سنة الرابعة ^{والعشرين}
 والمائتين والألف في بلد يزد حوسماً الله من طوارق الزمان
 بحمد واله حامداً مصلحاً مستغفلاً

بسم الله

 قمره حسن بن زهرى
 سبب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جعل عن التشاكل والتشابه فلم يعرف ونزه عن التحديد بالها
 عن النقص فلم يوصف كحله بما أعطى ولا شكره بما هدى والصلوة والسلام على عبد
 ودسوله العبيد عن قبوله نور وعلا الرجااء وصحبه الانقياء وبعده فيقول الفقير
 المسكين علي بن زين الدين الاحمدي ^{احمد} انما وقع بصري لغاؤه ونظري القاص
 عارسات لبعض اهل القرف فمن يدعي المعرفة والوصول وقد ضرب بمنزلة بلقيس
 بسور له باب باطن فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب اذ لم يقدم اماما موصيا
 من مشاوة البتة بهدي به في ظلمات الجهل ولم يركب سفن النجاة فتاهت به
 اليلاء وضلت به الاهواء فبقى بخط خط عشوائ لا يهتدى سبيلا ولم يجد له مرشدا
 ولا دليلا بادرت في شرح كلامه عاينين فيه الخطاء من الصواب ويميز ^{لغشوا}
 من اللباب معتصما بوجه الله الكريم من التزلزل بآثار السداد في القول ^{العدل}
 انه ولي ولاه وغوث من رحاه وهو حبيب ونعم الوكيل قول بسم الله الرحمن الرحيم
 حمد الله بصفاته توحيد بلا ترفوا واحدة لا عن توحيد والمجود قبل الحمد
 والتجلى احمده حمد صفاته لذاته وواحد توحيد ذاته صفاته اقوالا علم
 ان الخلاصة المجود بما لزم الحالات بل هو جميع الحالات وتظهر جميع التعينات
 والبراهين شأده بقوله صلى الله عليه واله اعطيت لواء الحمد وعلى حامله فضفا
 الحمد لصفاته والمجد صفته الذات فلا تعلقت تلك الصفات بغيرها من

من غير الكلام مستوفاه قولہ ان شئت قلت كذا وان شئت
 قلت كذا فتح تموج في العبارة وقول بلا استنارة فبني على قدم لفظ
 في علم الالهي فراجع ما سبق واياك والحمد والمثل نبينا الله ربنا
 من الخطا والزلل ولهذا اخذ ما اردته في شرح توحيد عبد
 ابن ابراهيم الجلا في وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه
 علي بن حميد بن زين الدين لا حاشي الجرجي حتى يوم الجمعة
 اخذ شهر جمادى الاولى فرسنته الواحدة والعشرين والمائتين والالف
 من الهجرة النبوية على ما جرها والم افضل الصلوة واذكي السلام
 في بلد نادر بها من طوارق الزمان بحمد والم ماملد مصليا
 مستغفرا وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة المباركة من نسخ
 الاصل التي كتبها المؤلف اطال الله بقاءه وجعلني من المكرم
 فداه بيد ليل بيده يوم الثمانية والعشرين من شهر شوال
 من شهر رستة الوا بقر والاربعين بعد المائتين والالف من
 سنة ١٢٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

[تمهيد من الشارح قدس]

الحمد لله رب العالمين، الذي جلّ عن التشاكل والتشابه فلم يُعرف، وتزّه عن التحديد بالكمال عن النقص فلم يُوصف، أحمده بما أعطى، وأشكره بما هدى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، المعبر عنه بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾^(١)، وعلى آله النجباء، وصحبه الأتقياء.

وبعد؛ فيقول الفقير المسكين، علي نقي بن أحمد بن زين الدين، أنه لما وقع بصري الفاتر، ونظري القاصر، على رسالة لبعض أهل التصوف، ممن يدعي المعرفة والوصول^(٢)، وقد ضرب بينه وبينها

(١) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٢) الصوفية لها استعمالان : «الأول : أن المقصود من الصوفية هو كل من إلترم بتطبيق أوامر الله تعالى، ... وابتعد عن نواهيه تعالى، من تجاف عن الدنيا والزهد فيها، وتصفية النفس ومحاسبتها، والإخلاص له تعالى، ولا شك أن هذا المعنى ليس بمذموم، بل مما حث عليه الشارع المقدس، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال : قال النبي ﷺ : (إن خياركم أولو النهى .

قيل : يا رسول الله ومن أولو النهى ؟ .

قال : هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدين للفقراء والجيران والأيتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون) . [أصول

بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب^(١)، إذ لم يقدم أمامه مصباحاً من مشكاة النبوة، يهتدي به في ظلمات الجهل، ولم يركب سفن النجاة، فتاهت به البيداء، وضلت به الأهواء، فبقي

→...

الكافي، ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٣٢، باب : المؤمن وعلاماته وصفاته] .
الثاني : أن المقصود هو من يعتقد بالاتحاد ووحدة الوجود، وغير ذلك، ولا شك أن أصحاب هذا المعنى مخالفون لله تعالى ورسوله ﷺ، وأهل بيته عليه السلام، مذمومون ملعونون على لسانهم عليه السلام .

عن البيزنطي أنه قال : قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام :
: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية، فما تقول فيهم؟ .

قال عليه السلام : (إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم، ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقبون أنفسهم بلقبهم، يوؤلون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا، وأنا منه براء، ومن أنكرهم ورد عليهم، كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ) [سفينة البحار، ج ٢، ص ٥٧، ح ٢] « [نقلاً عن مفاتيح الأنوار، ج ١، ص ٦٦، باختصار بسيط] .

والمقصود من الذي يدعي المعرفة والوصول هو : «عبد الكريم بن المرشد الجيلاني، عالم متبع، من القرن الثالث عشر، يميل إلى العرفان والتصوف، له عدة كتب منها : كتاب التحفة العلوية، والإنسان الكامل في الأوائل والأواخر، وغير ذلك» . [راجع تراجم الرجال، ج ١، ص ٣٢٢] .

(١) إقتباس من قوله تعالى : ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ . [سورة الحديد، الآية : ١٣] .

يخبط خبط عشواء، لا يهتدي سبيلاً، ولم يجد له مرشداً ولا دليلاً،
بادرت في شرح كلامه، بما يبين فيه الخطأ من الصواب، ويميز القشور
من اللباب، معتمداً بوجه الله الكريم من الزلل، طالباً منه السداد في
القول والعمل، أه ولي من والاه، وغوث من رجاه، وهو حسبي ونعم
الوكيل .

[تمهيد من الماتن]

قوله : «بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لله بصفاته، توحيده
بذاته، فهو الواحد لا عن توحيد، والمحمود قبل الحمد والتحميد،
أحمده حمد صفاته لذاته، وأوحده توحيد ذاته في صفاته» .

أقول : اعلم أن الحمد صفة المحمود بما له من الكلمات، بل هو
مجمع الكمالات، ومظهر جميع التعينات، وإليه الإشارة بقوله ﷺ :
(أعطيت لواء الحمد وعلي حامله)^(١) .

(١) قال رسول الله ﷺ : (أعطيت في علي تسع خصال : ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً
في الآخرة، واثنين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه، وأما الثلاثة التي في
الدنيا؛ فسائر عورتي، والقائم بأمر أهل بيتي، ووصي في أهلي .
وأما الثلاثة التي في الآخرة؛ فإني أعطى لواء الحمد فأعطيه يحمله، وأتكنى
عليه عند قيام الشفاعة، ويعينني على مفاتيح الجنة .

وأما الاثنان اللتان أرجوهما له؛ فإنه لا يرجع بعدي كافراً ولا ضالاً .
وأما الواحدة التي أخافها عليه؛ فغدر قريش به بعدي) . [الخصال،
ص ٤١٥، ح ٦، باب : التسعة] .

فصفات الحمد حمد الصفات^(١)، والحمد صفة الذات، فلما تعلقت تلك الصفات بظهورها من الحمود بالحمد، فعلاً وحالاً ومقالاً، ضجت إليه اللغات المختلفة، لا يشابه لسان منها لساناً آخر، ولا يخالف شيء منها إرادته، قال تعالى : ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢) .

فحمدها له جريانها على مقتضى إرادته، وظهور كمالاتها، واستقامة شئونها وأحوالها بما أعطاه، كل بصفاته الظاهرة له فيه، والباطنة به عنه، من خصوصياتها وخواصها، وإبراز كمالاتها وتوجهها إلى مبادئها وغاياتها، فلا يثني عليه، ولا يحمد شيء من الموجودات إلا بما أعطاه، وتلك صفات للمحمود، فكل حمد للموصوف، فلم تبق ذرة من ذرات الوجود في كل لحظة إلا وهي معلنة بالشكر لمولاه، شكر وجود وإيجاد، ناطقة بالحمد حمد قبول واستعداد، كما أخبر عنه سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣) .

فوجودها وشأنها وحالها مقر بالوحدانية لله، مدعن بالعبودية،

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «أردت حمده؛ يعني صفات الحمد، حمد الحمد، لأنها صفته، والصفات الثانية هي الصفات العليات؛ أي : صفات الحمد حمد لله للصفات العليات» . [منه تَدَبُّرٌ] .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٤٤ .

(٣) سورة الرعد، الآية : ١٥ .

منزّه له عن الأضداد، فهم موحدون من حيث لا يشعرون، فطروا على التوحيد، وأشركوا من حيث لا يعلمون .

[التوحيد : حقيقته ومراتبه]

وقوله : «توحيد بذاته»؛ يريد أن حقيقة التوحيد توحيد الحق للحق وغيره شرك، كما يأتي الإشارة إليه في عباراته، وهو المراد بقوله: وهو الواحد لا عن توحيد زائد على ذاته .

واعلم أن التوحيد توحيدان؛ صفاتي وذاتي، فالصفاتي له^(١) مراتب بعدد أنفاس الخلائق، على حسب تجليات الحق للخلق، فكلما تجلّى في مقام ورتبة، فهي توحيد ذلك المتجلي له، ومعبوده الذي يصمد إليه، وذلك أن الحق يظهر له في صفة من صفاته، فيعبده من تلك الصفة؛ لأنها وجه الله له الذي يتوجه إليه منه، ولذا اختلفت مراتب الموحدين على حسب اختلاف مظاهره، ويجمعها كلها أربع مراتب كلية؛ المرتبة الأولى : توحيد العبادة، الذي أتت به الأنبياء والرسل، النافي للشرك الظاهر والشركاء بنفي الإثنية، وإثبات الصانع بلا مشاركة في صفة ولا فعل، المعبر عنه بقوله : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢) .

ويلزمه الإقرار بالتوحيد في الأفعال والصفات، قال سبحانه :

(١) له غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) .

وتوحيد الذات قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) .

المرتبة الثانية : توحيد الذات بإفراد القدم عن الحدوث، ومنه بالصفات الذاتية، وتنزيهه عن كل نقص ووصمة، وعن كل ما لا يجوز على غيره .

والمعرفة في هذه المرتبة إنما تحصل بالآثار، وهي أول المعرفة المؤدية إلى التصديق، وهو المراد بقول أمير المؤمنين عليه السلام : (ليس بإله من عرف بنفسه، هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة عليه)^(٣)، وقوله عليه السلام : (توحيده تميزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)^(٤) .

المرتبة الثالثة : التوحيد الشهودي؛ وهو أن تشهد الحق في كل شيء، حتى يكون تجليه في كل شيء تجليّ الظهور، وتراه محتجباً عن كل شيء، فيكون بصرف وحدته خفيّ البطون، فتشهد عين خفائه في ظهوره، ونفس غيبته في حضوره، وما أحسن ما قيل :

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٢) سورة الإخلاص، الآية : ١ .

(٣) الاحتجاج، ج ١، ص ٢٩٩ . بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧، باب : ٤ جوامع التوحيد .

(٤) الاحتجاج، ج ١، ص ٢٩٩ . بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧، باب : ٤ جوامع التوحيد .

خفي لافراط الظهور تعرضت
لادراكه أبصار قوم أخافش
وخطّ العيون النجل من نور [وجهه
وغرّته خطّ العيون الأعوامش
وحينئذ تعلم أنه لا إله إلا الله، فهو أظهر من أن يوصف،
وأخفى من أن يعرف، لا يعرف بشيء من خلقه، بل تعرف الأشياء
به، فطرت العقول على معرفته، وهو مع ذلك غير مدرك بها، فيشهد
أهل هذه المرتبة الحق ظاهراً في كل شيء^(١)، قد انطوت الكثرة في
وحدته، قال الشاعر:

كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الـذهن إليّ
كثرة لا تنهاهـى عدداً^(٢)

قد طوّقا وحدة الواحد طي
المرتبة الرابعة : هي التوحيد الحقيقي؛ وهو مقام الفناء بنفي
الكثرة، وتحقيق الوحدة، ومعرفة الحق بالحق، بلا كيف ولا إشارة
حسية ولا وهمية، قال علي عليه السلام: (التوحيد ألا يتوهمه)^(٣).

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) عدداً غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) روضة الواعظين، ص ٤٠ . شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٢٧ . وفي نهج

البلاغة، ص ٧٣٠، حكمة : ٤٦٤، بدل : «ألا- أن لا» .

فإذا كشف الموحد سبحات الجلال من غير إشارة، فقد وحّده التوحيد الحقيقي، لفنائه عن نفسه؛ لأنه سبحة من تلك السبحات، فلا يجد إلّا الحق وحده .

وهذه المراتب كلها مقامات الموحدين، ودرجات العارفين، فكل يسير إلى الله بلا نهاية في مقامات لا تنتهى من مقامات التوحيد، ولا يتجاوز حده ولا مبدئه، والواحد تعالى متعال في جلال عظمته عن درك الطالبين .

وأما التوحيد الذاتي؛ فهو توحيد الحق لنفسه، وهو توحده بلا كيف، فهو الشاهد لنفسه بنفسه؛ بأنه الله الذي لا إله إلّا هو .

وقولي : توحيد الحق لنفسه؛ تعبير وكناية عن عدم إدراك أحد لكنه ذاته، وإلّا فحقيقة التوحيد هو المحبة التامة، المشار إليها بمقام أحببت أن أعرف^(١)، وهو التعيّّن الأول، وذلك صفة الذات، والحجاب الأعظم بسبحات من لا يعرف كيف هو إلّا هو .

وأما أهل التصوف^(٢)^(٣) فلا يعنون بحقيقة الفناء المطلق، والبقاء في الحق إلّا الفناء في الذات، والبقاء بها على أنه عينه، وهذا كفر

(١) قال الله في الحديث القدسي : (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) . [عوالي اللآلي، ج ١، ص ٥٥ . بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ١٩٩] .

(٢) النصوص في «ن-ج» .

(٣) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا الكتاب.

محض؛ لتنزله الذات من مجانسة الصفات، فكلمة كان غيره في جهة فهو من كل جهة، بل حقيقة التوحيد صفة الموحد -اسم مفعول- قائمة به، فلا يكون هي الذات؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف^(١) .

فالمحبة والمعرفة مقامان هما منقطع الإشارة، فكل من وحده وعرفه، فإنما يوحد ويعرفه بصفة من صفات توحيده، ويدرك نعتاً من نعوته، هو وجهه إليه، ولهذا قال عليه السلام : (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا)^(٢) .

فهم المعرفة، فحقيقتهم المحبة التامة المستديرة، التي غايتها نفسها، فهي غاية كل غاية، ونهاية كل بداية .

فحقيقة التوحيد لا يدرك ولا يوصف، فلا يحدد ولا يعرف، وقد أشار الشبلي^(٣) إلى ضيق مسلكه، وصعوبة إدراكه، بقوله : من

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف). [نهج البلاغة، ص ٣٤، خطبة : ١] .

(٢) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٣٨، ح ١٦، باب : ٢٥ . وفي تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٣، ح ٤٨، في تفسير الآية : ٤٦ من سورة الأعراف، باختلاف كلمة «سبيل» إلى «سبب» .

(٣) قال ابن خلكان : الشبلي -بكسر الشين وسكون الباء- نسبة إلى شبليه قرية من قرى أسروشنه -بضم الهمزة وسكون السين، وضم الراء وفتح الشين والنون- وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر .

أجاب عن التوحيد بعبارة فهو مشرك، ومن أشار إليه بإشارة فهو زنديق، ومن أوحى^(١) إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، [ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد]^(٢)، وكلما ميزتموه بأوهامكم، وأدر كتموه بعقولكم في أتم معانيكم، فهو مصروف مردود إليكم محدث^(٣)، مصنوع مثلكم^(٤) .

→...

[والشبلي هو] : «أبو بكر دلف بن جحدر، وقيل : جعفر بن يونس الخراساني البغدادي المالكي أو الإمامي، تولد في سامراء ونشأ في بغداد، وصاحب الجنيد والحلاج، وخير النساج، وكان من كبار مشائخ الصوفية وأهل الحال، يحكى عنه نوادر واشعار وحكايات، ... قيل : أنه كان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر، وكان إذا دخل شهر رمضان جد في الطاعات، ويقول : هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه، توفي ببغداد في آخر سنة : ٣٣٤هـ» ودفن بمقبرة الخيزران .

[وقيل] : قد يطلق الشبلي على القاضي بدر الدين أبي عبد الله، محمد بن تقي الدين عبد الله الدمشقي الحنفي، ولي قضاء طرابلس سنة : «٧٥٥هـ»، قيل : أنه كان من تلامذة المزي والذهبي، له آكام المرجان في أحكام الجآن، توفي سنة : «٧٦٩هـ» . [الكنى والألقاب، ج٢، ص ٣٥٣] .

(١) أومى في «ن-ج» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) محدث غير موجودة في «ن-ب» .

(٤) راجع تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٦، ص ٥٩ .

وعباراته ألفاظ حديثين أخذهما من أهل الحكمة عليه السلام، وبيت الولاية، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى مراتبه بأخصر تعبير بقوله : (من سأل عن التوحيد فهو جاهل)؛ لأنه لا تدركه الإشارة، ولا تحده العبارة، فلا يوصف ولا يكيف، بل إنما حظ العقول منه تثبت الثابت بلا كيف، وهذا هو المقام الرابع مقام أهل الأئدة، قال عليه السلام : (كل ما ميّزتموه بأوهامكم، في أدقّ معانيه، فهو مخلوق مصنوع مثلكم، مردودٌ عليكم)^(١).

ومن أجاب عنه فهو مشرك، قد جعل معه غيره، بل الذي عرفه وأشار إليه ليس هو، فكل من وصفه فقد حده، وكل من حده فقد ميزه، وكل محدود مميز، فهو مصنوع محدث، فلا يجاب عنه باللسان، وإنما تدركه القلوب بحقائق الإيمان، وهذا هو المقام الثالث التوحيد الشهودي، قال عليه السلام : (ومن عرّف التوحيد فهو ملحد، قد وصفه بغير ما هو، وسماه بغير اسمه، فمن ادعى أنه أدرك وعرف فقد مال عن الحق وانحرف)، فإنه أجل من أن ينسب إلى شيء، أو أن ينسب إليه شيء، فلا يدرك من حيث ذاته، بل إنما يعرف من حيث آثاره وصفاته، وهذا هو المقام الثاني؛ أعني المعرفة بالآثار، وهي أول المعرفة كما أشرت إليه سابقاً^(٢).

(١) نور البراهين، ج ١، ص ٩٢ . بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٢ .

(٢) راجع الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

واعلم أن الإلحاد لا يقع على الذات؛ لأنه ثابت العين، متقدس عن كل صفة وأين، فلا تتوهمه العقول، ولا تقع عليه العبارة، ولا تدركه الإشارة، فالأزل لا تحله الحوادث، ولا النسب والإضافات، فتعالى عن كل وصف، واحتجب بجلال قدسه عن كل نقص ووصمة.

وإنما يقع الإلحاد في الأسماء؛ أعني أسماء الصفات، فافهم .
قال **عليه السلام** : (ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر)، ذاهب في بحار الظلمات، مستغرق في لجج الكثرات^(١)، منكر قد كفر التوحيد الظاهر في كل شيء، الساري بالقيومية في جميع الكائنات، فلا شيء أظهر منه، ولا شيء إلّا به .

[معنى الواحد والمحمود]

قوله : «فهو الواحد لا عن توحيد»؛ يريد أنه الواحد لا بتوحيد وتميز عما سواه، بل هو جميع الأشياء وعينها، كما هو المعلوم من مذهبه وهو باطل؛ لأن الحق حق بكل اعتبار، فوحدته هي حقيقة الوجوب الذي هو القدم، وهي تمتنع أن تتعلق بالحوادث، أو تتعلق بها الحوادث ولو باعتبار الظهور لانتفاء الجهة .

قوله : «والمحمود قبل الحمد والتحميد»؛ يريد أنه حمد ذاته بذاته، قبل إظهار ما بطن في عالم العين، وإبراز الأشياء في عالم الأين.

(١) في الحجج المكثرات في «ن-ج» .

والحق أن بالحمد - كما تقدم^(١) - صفة حدوث، وكذا الحمدة^(٢).

وأما الحمادية فهي أثر الظهور الذي هو صفة الجمال، فلا حمد ومحمود إلا في الحدث؛ لأن المحمود ذات متصفة بالحمد من حيث الحمد كالقائم، فإنه الذات المتصفة بالقيام، فلا يصح اطلاق القائم على الذات البحث، بل على الذات المتصف بالقيام.

وكذا لا يتصف بالحمد إلا الذات المحمود، نعم يصح أن يقال : بأن له معنى المحمودية قبل الحمد والتحميد، كما أن له معنى الخالقية قبل الخلق، وهي أيضاً عبارة عن عنوان غير الذات البحث؛ لأن الذات البحث لا عنوان له، فلا يصح التعبير عنه بشيء؛ لأن كل تعبير حادث بالضرورة، ومفهومه كذلك حادث، وإلا لما وقع عليه التعبير بحال.

فالذات لا يوصف، والوصف إنما هو للأسماء والصفات، قال علي عليه السلام في خطبته : (من وصف فقد أثبت، ومن لم يصف فقد نفى، وكلا الأمرين خطأ)، يريد عليه السلام أن الوصف إثبات، والإثبات إدراك للمثبت - اسم مفعول - والله سبحانه لا يدرك ولا يحاط به، فلا

(١) راجع الصفحة رقم (٢٠) من هذا الكتاب.

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الحمدة : اتصاف المحمود بالحمد، والحمادية

صفة الحامد». وفي «ن-ج» : «الحمدة اتصاف المحمود، وكذا الحمدة

بالحمدة». [منه قَدْئُل].

يوصف، وإنما الوصف متعلق بالموصوف من حيث الوصف، فالوصف واقع على الوصف، والذات منزّه عن وقوع الصفات .
 فالحمد صفة كمال عن النقص، والكمال عن النقص لا يوصف به الذات، بل هو صفة حدوث، والذات كامل عن الكمال عن النقص؛ لأن كماله -جل اسمه- عين ذاته، فلا نقص يعتريه، ولا كمال له عنه فيه .

قوله : «أحمده حمد صفاته لذاته»، تقدمت الإشارة إليه^(١)، وكذا قوله : «وأوحّده توحيد ذاته في صفاته» .

والحق ما أشرنا إليه؛ من أن توحيد الذات بالصفات لا فيها، بمعنى أنه يحل فيها على أنها هو، بل التوحيد ظهوره للموحد بصفة من صفاته، هي حقيقة ذلك الموحد، وهي حجاب من حجب الصفات، احتجب بها عنها كما تجلّى لها بها، قال علي بن أبي طالب^(٢) عليه السلام :
 (لم تحط به الأوهام، بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها)^(٣)، وهي غير الحق تعالى، فإذا عرف وترقى إلى مقام أعلى من الأول، وجد الله عنده، وتجلّى له بذلك المجلّى، فيعرف حينئذٍ أن ما عبده وقصده قبل ليس هو المعبود، وهكذا لا إلى نهاية، وكلها مقامات من مقامات

(١) راجع الصفحة رقم (١٩) من هذا الكتاب .

(٢) بن أبي طالب غير موجود في «ن-ج» .

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٧٤، خطبة : ١٨٣ . بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٦١، ح ٩،

التوحيد، ودرجات الإيمان، وهو المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي: (وليس محبتي غاية ولا نهاية، كلما رفعت لهم علماً وضعتُ لهم حليماً)^(١).

[معنى الشاهد والمشهود بالنسبة لله تعالى]

قوله : «فأشهد أنه الشاهد بأنه الفرد الواحد الأحد بالعين المقدس عن الحلول في تجليه بكل أين» .

أقول : اعلم أن الشاهد هو المشهود في الظهور والشهود، فشهد لنفسه بنفسه بالوحدانية والفردانية، وأشهد خلقه ما شهد لنفسه بنفسه، إذ الشاهدية والمشهودية فعله وخلق، فالشاهد هو الظاهر بالالوهية، القائم بالربوبية، والمشهود نفس الألوهية والربوبية، فأثبت الألوهية بالالوهية، قال تعالى اسمه : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

فشهادة الحق للحق حق، وشهادة الخلق للحق رسم؛ لأن شهادة الحق تجليه لنفسه بنفسه، وشهادة الخلق للحق تجلي صفته لهم بهم، فوجوداتهم شهادة لشهادته لنفسه بنفسه، فكل ذرة من ذرات الوجود

(١) إرشاد القلوب، ج ١، ٣٧٣، باب : ٥٥ . بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢١، ح ٦،

باب : ٢ . وفي الجواهر السنية، ص ١٥١، باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨ .

شاهدة بوجودها وتحقيقها، بشهادة موجدتها لنفسه؛ لتقومها به، ولكونها أثر فعله، فهو الواحد الذي ترجع إليه الأشياء، [وتستند إلى فعله وإنشائه كما شاء .

قوله : «الأحد بالعين» هو الثابت بذاته المتقدس عن الحلول، لاستلزام الحلول الاتحاد، وهو محال؛ لأن أخذ الحيشة في البسيط المطلق موجبة لتغير الحقيقة، بخلاف المركب؛ لأنه لو كان واحداً لم يكن اثنين من حيث أنه واحد؛ لأنه من حيث أنه واحد غيره من حيث أنه اثنين، فيلزم أن يكون اثنين حال الاتحاد، وإلا لما صح الاتحاد، بل واحد لا عن اتحاد فلا حلول، فهو المتقدس عن الحلول بكل اعتبار يمكن فرضه ولو قيومية، إذ القيومية صفة أو حلول؛ يعني أنه منزه عن حلول الوحدة كما يزعمونه، فهو بجميع أنحاء الوحدة الذي هو كينونته، لأن حقيقة الأشياء^(١) عندهم كينونته، ومقتضى أسمائه وصفاته، فتكون الوحدة حالة في الأشياء، حلول البحر في الموج، والماء في الثلج، فالموجية والثلجية ليست غير البحر والماء، بل تلوهما وتكيفهما، ولذا نفى الحلول بالمعنى الأول بقوله: «المقدس عن الحلول في تجليه بكل أين»؛ يعني أن حلوله ليس بتجليه بالأشياء، ولا في جوهر ولا عرض خارج عن ذاته وصفاته لأنها ليست غيره، بل حلوله هو كينونته التي هي عين كل الأشياء على معتقده، فافهم .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

[الشهادة بالألوهية تستلزم الشهادة بالنبوة]

قوله : «وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم، قطب رضى
الموحدين، ونقطة دائرة المحققين، ومحيط مركز المقربين، المتكلم بلسان
الجامعة الكبرى، صاحب مقام قاب قوسين أو أدنى، قلب الوجود،
وروح كل موجود، سر الله المدغم، وطرّاز الثوب المُعلَّم، خلاصة
الصورة والمعنى، صاحب الحقيقة للأسماء الحسنى، صلى الله عليه صلّاته
الأسنى، وسلّم سلامه الأكمل الأهنى، وعلى آله وصحبه، وأهل
الفخار صورة ومعنى» .

أقول : اعلم أن نفس الشهادة بالألوهية، تستلزم الشهادة
بالنبوة، كما أنهما يستلزمان الشهادة بالولاية، لترتّبها صعوداً
ونزولاً، ولأن كل واحدة منهما واسطة لما فوقها، لعدم تقوم
الأعلى بدون الأدنى، فكل رتبة معراج لما فوقها، فلا يتحقق وجود
موجود من الموجد إلّا بواسطة الإيجاد والجعل، وإلّا لم يكن موجدًا -
اسم مفعول- أو يكون واجباً لذاته، فتحقق كل شيء شاهد بثبوت
جعله، وكونه وموجده، فالشهادة بالألوهية مستلزمة للشهادة بالنبوة
والولاية .

أما في التكويني^(١) فلما أشرت إليه؛ من أنه لا يمكن أن يوجد
شيء من الموجودات إلّا بواسطة النبي والولي صلى الله عليهما
وآلهما»، لأنهما نور الله الذي تشعشع من سائر الأنوار، ووجهه الذي

(١) التكوين في «ن-ج» .

إليه يتوجه الخلق أجمعون، وقامت به المنفعلات، فكل منفعل بفالفعل كان وإلّا لم يكن منفعلاً، فلا يصل إلى أحد وجود ولا مدد، ولا جوهر وعرض ولا نسبة إلّا بالواسطة^(١)؛ وهي محمد وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهم محل مشيئته، وبابه وسبيله الذي يدعو إليه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢)، وإليه الإشارة بقول الحجة عَلَيْهِ السَّلَام، في دعاء رجب : (أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مِنْ عَرَفِكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا إِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقْهَاهَا وَرَتَقَهَا بِيَدِكَ، بِدَوِّهَا مِنْكَ، وَعَوْدِهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادُ؛ أَي : جَعَلْتَهُمْ أَعْضَاداً لِلْخَلْقِ فِي الْقَابِلِيَّاتِ، لِعَدَمِ تَأْهَلِ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ، لِقَبُولِ الْفَيْضِ بِدُونِ الْوَاسِطَةِ الْقَابِلَةِ الْفَاعِلَةِ، فَهُمْ الْقَائِلُونَ وَالْفَاعِلُونَ .

وأشهاد : على الموجودات^(٣) والأحوال والأعمال، فلا يبرز فيض ولا رزق، ولا أجل، ولا شيء ما، ولا يصعد عمل، ولا عامل إلى الحق، ولا رضى ولا محبة، وثواب ولا عقاب إلّا بمشهدهم وشهودهم وشهادتهم، قد أشهدهم خلق السماوات والأرض، فهم الشاهدون والمشهدودون .

(١) بواسطة في «ن-ج» .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

(٣) الوجودات في «ن-ج» .

ومناة : جمع ماني؛ يعني مقدرون لذرات الوجود في إيجادها وتكونها في جميع مراتبها، وللأرزاق في تنزلها وتقسيمها، وللآجال في توقيعتها، وللأعمال في صعودها وقبولها، فهم في جميع ذلك المقدرون بأمر الله .

وأذواد : جمع ذائد، وهو الطارد، فهم يذودون محبيهم عن النار وعن كل بلاء بمحبتهم، ويذودون مبغضهم عن الحوض وعن الجنة^(١)، وعن كل خير يبغضهم .

وحفظة : لكل شي من الوجودات والموجودات، في كل مقام وكل عمل وقول، وسكون وحركة، وهيئة ووضع، فلا يكون شيء إلا وهم الحفظة عليه؛ لأنهم الخزنة لعلم الله، والحفظة لكتاب الله، قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٢) .

وقال -جل اسمه- : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٣) ، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾^(٤) .

(١) قال رسول الله ﷺ : (يذود علي عنه يوم القيامة من ليس من شيعته، ومن شرب منه لم يظماً أبداً) . [مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١٦٢ . بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٥، ح ٢١، باب : ٢٠] .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

(٣) سورة يس، الآية : ١٢ .

(٤) سورة ق، الآية : ٤ .

ورواد^(١) : جمع رائد؛ وهو المتقدم أمام الطالبين في كل مورد ومسلك فكل صادر ووارد فهم أمامه، لا يصدر إلّا بهم، ولا يرد إلّا عنهم، حتى لا يبقى شيء من الوجود إلّا وهم فيه بالقيومية والإحاطة، أما تسمع قوله عليّ^{عليه السلام} : (فبهم ملأت سماءك وأرضك، حتى ظهر إلّا إله إلّا أنت)^(٢)، فشهادة الموجودات لهم شهادة لموجدهم .

وأما في التشريعي؛ فإن الإقرار بتوحيد الله كما أمر، واتباع أوامره، ومعرفة أحكامه، لا يمكن إلّا بالإقرار بالنبى ﷺ، والتسليم له، لعدم تأمله لقبول ذلك ومعرفته، وتحمل أحكامه، لقصور حقائقهم، وقابليتهم عن ذلك، فلا بد من البرزخ بين الحق والخلق، وهو صاحب المرتبة الجامعة، وكذا حكم الولي؛ لأنه الحافظ لما عند النبى ﷺ، ولا يقدر أحد على تحمل ما جاء به النبى ﷺ إلّا هو؛ لأنه نفسه وفيه العصمة مثله، بل حقيقته من حقيقته، ولذا أخبر عن ذلك أمير المؤمنين عليّ^{عليه السلام} بقوله : (أنا من محمد كالضوء من الضوء)^(٣)، وقال رسول

(١) إقبال الأعمال الحسنة، ص ١٤٥، في أدعية أيام شهر رجب . البلد الأمين، ص ٢٥٤، في دعاء كل يوم من أيام رجب . مصباح المتعبد، ص ٥٥٦، في دعاء كل يوم من أيام رجب .

(٢) راجع المصادر السابقة .

(٣) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمُؤَصِّلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ، قَالَ : (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ .

الله ﷺ لعلي عليهما السلام : (أنت مني بمنزلة الرأس من الجسد) ^(١)،
(أنت نفسي التي بين جنبي) .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : (كنت وعلياً نوراً واحداً،
فافترقنا نصفين في عبد الله، ونصف في أبي طالب) ^(٢) .

وقال ﷺ ما معناه : (خلقني الله وعلياً نوراً واحداً - إلى أن
قال - فقال : للنصف كن محمداً، وللنصف الآخر كن علياً) ^(٣) .

→ ...

فَقَالَ لَهُ : ثَكَلَنِكَ أُمُّكَ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ؟، كَانَ رَبِّي قَبْلَ
الْقَبْلِ بَلَا قَبْلٍ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ بَلَا بَعْدٍ، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ، انْقَطَعَتْ
الْغَايَاتُ عِنْدَهُ، فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَبَسِيَ أَنتَ؟ .

فَقَالَ : وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ . [أصول الكافي، ج ١،
ص ١١٢، ح ٥، باب : الكون والمكان . نور البراهين، ج ٢، ص ٤٣٠، ح ٣ .
بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٨٣، باب : ١٢] .

(١) الصراط المستقيم، ج ٣، ص ١٦١ .

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣، باب : ١٣ .

(٣) جاء في رواية طويلة عن أمير المؤمنين عليهما السلام أنه قال : (... يا سلمان ويا
جندب، قلنا : لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك .

قال : (كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله ﷻ، فأمر الله -تبارك
وتعالى- ذلك النور أن يشق، فقال للنصف : كن محمداً، وقال للنصف :
كن علياً) . [بحار الأنوار، ج ٦٢، ص ٣، باب : ١٢] .

فمن لم يشهد بالولي ويعرفه فهو منكر للنبي والرب، كافر بالتوحيد، منكر للوجود من حيث لا يعلم، ومن أنكر الإمام فقد كذب بالنبي ﷺ، وجحد الإسلام، فلا يظن أنه قصد وعرف، بل مال عن الحق وانحرف، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١).
وقوله : «قطب رحى الموحدين - إلى آخره-»؛ ظاهر في الظاهر.

واعلم أن الموحدين بحقيقة التوحيد هم أركان التوحيد وهياكله، المشار إليها بقول علي عليه السلام في حديث كميل : (نور أشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)^(٢)، وهم (الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم)^(٣).

وفي الجامعة : (ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم)^(٤)، فهم الجهة والوجه، وما سواهم فهم الآثار وسبحات الجلال، فافهم .

وقوله : «المتكلم بلسان الجامعة الكبرى»؛ هي مقام أو أدنى في قوله تعالى : ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٥)، فهو الحامل والمحمول،

(١) سورة الرعد، الآية : ٣٣ .

(٢) جامع الأسرار، ص ٢٨ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٢ . تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٩٧ .

(٥) سورة النجم، الآية : ٩ .

والعالم والمعلوم، ومظهر المشيئة في المشاء، وقد ورد عن أهل العصمة عليهم السلام : (إذا شئنا شاء الله)، (ونحن محال مشيئة الله) .

وقوله : «قلب الوجود ... إلخ»؛ يعني أنه صلى الله عليه وآله يدور الوجود عليه بدءاً وعوداً، «وروح كل موجود»؛ أي : حقيقته «وسر الله المدغم»؛ أي : الحقيقة السارية في جميع الموجودات الذي به كانت وإليه تعود، «وطراز الثوب المعلم»؛ أي : زينة الوجود، لأن الموجودات نقوش فيه، فكل^(١) موجود حرف منقوش، ونقش مكتوب، وهو صلى الله عليه وآله زينته وحليته؛ لأنه الناقش والکاتب، والطراز والمطرز؛ لأنه عين الله الواعية، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق بكل الحقائق، ويده الباطشة، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢) .

[مراتب التوحيد]

قوله : «أما بعد؛ فإن التوحيد عظيم شأنه، عال مكانه، لا يحظى بحقيقته إلا أهل الكمال، ولا يبلغ إلى شأنه إلا أفراد الرجال، قد أقر الكل بالعجز عن مداه البعيد، واعترف الملاء الأعلى بالقصور عن ذروته العالي المجيد، فالحققون^(٣) حول حماه يحومون، والعارفون في لجة من لجج بحاره غارقون .

(١) فكل غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة الفتح، الآية : ١٠ .

(٣) المحققون في «ن-ج» .

وبالجملة؛ فقد قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١)، قل^(٢) أن يسلم من الغرق^(٣) في تياره السابح، وبعد أن ينجو في مفاوزه السابح، قفاره مزروعة بالموانع، وبحاره متموجة بالقواطع، لا يسع الجاهل أن يستخبر عنه، ولا يصح جواب العالم بما عسى أن يجيب عنه الفصيح، فيه الكل خافت، والناطق عنه أخرس صامت له^(٤)، ليس مع الجميع سوى أصل اسمه، ولا يصل الواصلون إلَّا إلى القشر من رسمه^(٥) .

أقول : اعلم أن التوحيد له مراتب لا تتناهى، كما سبقت الإشارة إليه^(٦)، وكل مرتبة تنفيها المرتبة التي فوقها، فتكون الأولى بالنسبة إلى الثانية كثرة، فإذا عرج الموحد من مقام إلى مقام آخر، عرف أن الذي كان يعبده ويوحده غير معبوده الحق، وأن تلك العبادة ليست بحق، وهكذا حتى يصل إلى مقام الكشف الذوقي، والتوحيد الشهودي، فظهر له الحق في كل صورة ومعنى، ويتجلى عليه من كل جهة وفي كل شيء، قال الشاعر :

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

(٢) قال في «ن-ب» .

(٣) من الغرق غير موجودة في «ن-ج» .

(٤) له غير موجودة في «ن-ب» .

(٥) عن رسمه في «ن-ج» .

(٦) راجع الصفحة رقم (٢١) من هذا الكتاب .

تجلى إلى المحبوب من كل وجهة

فشاهدته في كل معنى وصورة

حتى لا يرى إلّا الحق، فيعلم أن تلك المقامات الأولى حق، وأنه لم يعبد إلّا الله وحده في كل مقام، وأن كل الخلق متوجهون إليه، قاصدون إلى وجهه، لا يمكن أحد من الخلق التوجه إلّا إليه، وأن من عبد غيره وأنكره لم يخرج عن جهاته ومظاهره، وإنما يبق^(١) يتوجه إلى جهة غير ما أمر بالتوجه إليها، وعبدته بغير ما تعبد به، لأنه يتعبد كل أحد بما يظهر له به، فيتعرف لك بك، ويتعرف^(٢) لزيد مثلاً به، فجهة زيد غير جهتك، فإذا عبدته من جهة زيد فقد جحدته؛ لأنه لم يتعبدك بها، ولم يظهر لك به، بل إنما ظهر لك بك، كما قال عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٣)، وقال عليه السلام: (تجلى لها بها، وبها امتنع منها)^(٤)، فلو لم تزعم النملة أن لله زبانين لأشركت به^(٥)؛ لأنها

(١) يبق غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ويتعرف غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) مصباح الشريعة، ص ١٣، باب : ٥ في العلم . عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٠٢،

ح ١٤٩ . الجواهر السنية، ص ٩٥، باب : ١٠ . بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢،

ح ٣٢، باب : ٩ .

(٤) تقدم تحريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٥) نور البراهين، ج ١، ص ٩٢ . بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٢ . مشرق

الشمسين، ص ٣٩٨ .

وصفته بغير صفة الكمال عندها، فيلزمها النقصان عندها^(١) فلم تنزهه، فهو سبحانه ظهر لها بصفة الكمال عندها التي هي حقيقتها، فافهم .

واعلم أنه لا يتجاوز أحد مقامه ومبدئه الذي خلق منه، فإذا وصله بقي يحوم حول ربه، في لجة من لجج التوحيد، هي نهاية مقام الموحد، وصفة هيكل من هياكل التوحيد، والتوحيد متقدس عن الدرك والإحاطة، لا يظفر بحقيقته الواصلون، ولا يدركه الطالبون، ولا يعرفه إلا الله لشهادته لنفسه بنفسه، أنه لا إله إلا هو، وأشهد خلقه ما شهد لنفسه، فشهد لنفسه بنفسه، شهادة الحق للحق، أو شهدت الملائكة وأولو العلم شهادة وصف، فشهادة الخلق للحق شهادة رسم، فلم يشهدوا لنفسه، بل شهدوا لشهادته لنفسه بما أشهدهم، وعرفوه بما عرفهم، ووصفوه بما وصف لهم نفسه .

فالتوحيد الحقيقي توحيده بقوله : ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢)، وقال : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣)، فلا يعلم نفسه إلا نفسه، قد أقر الأنبياء بالعجز عن دركه، والمرسلون بالقصور عن معرفته، واعترفوا بالتقصير في جنبه، كما حكى سبحانه عن عيسى «على محمد وآله

(١) عندنا في «ن-ج» .

(٢) سورة الإخلاص، الآية : ١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٨ .

وعليه السلام» بقوله : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١)، فافهم .

وقوله : «لا يسع الجاهل... إلخ»، فظاهر تأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى .

[التوحيد وفناء العبد فيه]

قوله : «اللهم ألا عبد أفناه التوحيد عن توحيده، وجرده عن تجريده، فانطمست كثرته في تفريده، وأشرقت شمس واحديته في تعديده، قد وحد الحق ذاته، وواصل بصفة البقاء إليه بعد الغناء» لطيفه منه .

فيصح قول القائل شعراً^(٢) :

(١) سورة المائدة، الآية : ١١٦ .

(٢) في حاشية المخطوطة «ن-ب» : «القائل هو صاحب منازل السائرين، وهو جزء من ثلاثة أبيات على ما في النفحات، وتلخيص الكلام على ما يناسب المقام أنه قال : صاحب نفحات الأنس، وفي الفصل الثاني من الباب الأول من ترجمة العوارف للتوحيد مراتب أربع؛ الأول : إيماني؛ وهو إقرار العبد باللسان، وتصديقه وإذعانه بالجنان، تفرد الواجب تعالى بالألوهية، وتوحده في استحقاق العبودية، على مقتضى الإشارات القرآنية، والأخبار المعصومية .

الثاني : علمي يقيني؛ وهو علمه بنحو اليقين، بأنه لا موجود على الحقيقة، ولا مؤثر على الإطلاق إلا الله الواحد الغفار القهار، وأنه لا وجود لغيره إلا

توحيدـــــه إـــــياه توحيدـــــه فهو الواحد الموحـــــد لنفسه تعالـــــت واحديته ســـــبحانه عن التوحيد بالتوحيد في قدسه

→...

بالاعتبار، وأن جميع ما سواه من الذوات والصفات والأفعال، تكون كالذرات بالنسبة إلى الشمس في ضوء النهار .

الثالث : حالي؛ وهو تصوير العبد الموحـــــد التوحيد وصفاً لازماً لذاته، وكون نور التوحيد مستتراً مندرجاً في حاله على نحو اندراج نور جميع الكواكب في نور الشمس، كما قال ... : فلما استبان الصبح أدرج ضوءه بأشفار أضواء نور الكواكب، ومن هنا قول من قال : التوحيد معنى يضمحل في الرسوم، ويندرج فيه العلوم، ويكون الله ﷻ كما لم يزل، وقول من قال : التوحيد غريم لا يقضى دينه، وغريب لا يؤدي حقه .

الرابع : توحيد إلهي؛ وهو كون الله سبحانه وتعالى في الأزل بنفسه، موصوفاً بالوحدانية، ومنعوتاً بالفردانية، كان الله ولم يكن معه شيء، والآن كما كان ويكون أبد الآبدين كما كان، وقال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ . [سورة القصص، الآية : ٨٨]، ولم يقل : يهلك بلفظ المضارع، ليعلم أن وجود جميع الأشياء في جنب وجوده سبحانه، هالك في جميع الأزمنة، وتخصيص الهلاكة بالأزمنة المستقبلية، شأن المحجوبين المستورين بالغشاوة، ولا أرباب البصيرة، وأصحاب المشاهدة، فإن تلك الوعدة في حقهم موجودة، وقد ختم حضرة شيخ الإسلام التوحيد الإلهي بهذه الأبيات الثلاثة» . [منه تذكُّرُ] .

ما أفرد الواحد ذو تفريد إلّا وقد
 أشرك في التوحيد والواحد الفرد
 فمستغن عن التوحيد والتفريد والتجريد
 توحيده منك لاثنية فتمالى الفرد عن التفريد
 إن وحد الواحد ذاته فما
 ذاك بمغـنـن لي ولا مفيد
 وإن أقل يوماً بتوحيدي له
 أشركت في توحيده بوجودي^(١)
 وإنني مكلف توحيده
 فكيف قل لي بلغة المقصود
 ما ذاك إلّا إنه عين^(٢) بلا شرك
 وعين سائر الوجود
 فالواحد الفرد أنا وهو كذا
 وحدتنا لا وحدة التعديد
 بل وحدة في وحدة أحدية
 قد نزهت عن كثرة ومزيد
 لا عن وجود سابق أو حادث
 كلا ولا عن منظر وشهود

(١) توحيدي في «ن-ج» .

(٢) عيني في «ن-ب» .

بل حالة أزلية كانت لنا

شأناً بلا علل ولا تقييد

أقول : اعلم أنه أراد بمن أفناه التوحيد عن توحيده؛ مقام الفناء المطلق في الخلق، فإنه إذا فنى في التوحيد لم يصح منه التوحيد^(١) بالرسم؛ لأنه ذاته، والرسم صفة من صفاته، فالتوحيد بالرسم تفريد وتمييز عن الموحد - اسم مفعول - وهو اثنيّة، فإذا أثبت له وجود غير وجوده - جل شأنه - لم يكن موحداً .

فحقيقة التوحيد فناء كثرة الموحد، بل فناء ذاته في الذات الأحدية، فيكون قد بقي بالحق بعد الفناء على أنه عين الباقي، وقد أشرت مراراً إلى أن هذا لا يصح بالنسبة إلى الذات البحت؛ لأنه غيب لا ينال ولا يدرك بحال، فلا تحله الحوادث والصفات، ولا يحلها، ولا تعرض له، ولا يصح عليه التكليف والتلون والتأين، ولا التبعض، ولا تدركه الإشارة، ولا تحده العبارة، (إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها)، كما قال عليّ^(٢)، وليس بكل ولا جزء، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذى تلون؛ لأنها صفات حدوث لا تقع إلّا على الحدث، فالذات هو هو لا من شيء كان فيلزمه الاستناد،

(١) لم يصح منه التوحيد غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٧٩، خطبة : ١٨٤ . الاحتجاج، ج ١، ص ٢٠١، احتجاجه

فيما يتعلق بتوحيد الله .

ولا^(١) لشيء^(٢) يكون فيحتاج إلى الاعتماد، ولا إلى شيء يصير فيلحقه النفاذ، ولم يخرج منه شيء فيرجع إليه وإلاً لتبعض، فيلزمه التغير في ذاته، وهو إذاً موجب للحدوث، فلا يكون قديماً، ولم يكن عنده غيره فأظهره، فيصح العود إليه وإلاً لكان مشاركاً في أزلّه، والأزل ذاته، محدوداً في ذاته، والحد يخرجّه عن قدمه، بل كل ذلك صفات حدث لا تحل القدم، ولا يتصف بها، بل هي أثر فعله، وليس هو الأشياء؛ لأنها بمشيئته وإنشائه كانت أشياء، قال عليّ عليه السلام: (إِذَا كَانَ الشَّيْءُ مِنْ مَشِيئَتِهِ)^(٣)، أبطل الإختراع كونها في الأزل، والإبتداع عينها في القدم، وليس بحال فيها فتقيمه، ولا بحالة فيه فتقومه وتميزه، ولا بائن عنها بانفصال فتحده بينونتها، ويميزه انفصالها، بل بائن عنها بينونة صفة لا بينونة عزلة .

فالذات متعال عن كل وصف واسم، وحدّ ورسم، فهو المجهول المطلق، والمعلوم الحق، فحقيقة الإدراك عند المدرك إثبات ما لم يدرك بالكنه، بل بالصفات والآثار، فكل الخلق صائرون إلى حكمه، راجعون إلى أمره، على حسب اختلاف مقاماتهم، بل وأمر الله متعال عن الإدراك لكل مدرك، فمن ادعى الرجوع إلى حقيقة أمر الله،

(١) ولا غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) بشيء في «ن-ج» .

(٣) تفسير الأصفى، ج ٢، ص ١١٢٣ .

والفناء المطلق، غير صاحب البرزخية الكبرى، فقد ألحد في أسمائه جل شأنه .

واعلم أن مقام الجامعة واحد، لا تعدد فيه ولا تكثر، وله مظاهر هم هياكل التوحيد، والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، وهي التي أشار إليها^(١) الحجة عليه السلام في دعاء رجب، بقوله : (لا فرق بينك وبينها إلّا إنهم عبادك وخلقتك)^(٢)، وقال الصادق عليه السلام : (إن لنا مع الله حالات، هو فيها نحن، ونحن فيها هو، وهو هو، ونحن نحن)، فمن خرج عن الباب تاهت به البیداء، وضلت به الأهواء، بلا مصباح يستضيء به، كما قال علي عليه السلام : (ذهب الناس إلى عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض - لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق^(٣)) - وذهب من ذهب إلينا، إلى عين صافية، تجري بأمر ربها^(٤))، ولهذا تراهم تارة يدعون الفناء في

(١) إليه في «ن-ج» .

(٢) تقدم تحريجه في الصفحة رقم (٣٤) من هذا الكتاب .

(٣) في هامش المخطوطة : «قوله : لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، من حديث آخر، أوله : (العلماء ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق)، ولكني حال التأليف لم أراجع، فكتبته كما في الأصل توهمًا» .
[منه قَدْ تُرَى]

(٤) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٦، ح ٩، باب : معرفة الإمام والرد إليه . بحار

الذات والاتحاد فيكفرون، وتارة يدعون مقام الجامعة فيلحدون، ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).

قوله : «فيصح قول القائل : توحيده إياه توحيده... إلخ»، استشهاد لما أراد، وأنا أذكر مرادهم، ويكفي في إبطال معتقدهم ما قدمته وما يأتي إن شاء الله تعالى، لمن كان له قلب باتباعه مصباحاً من الولاية، أو ألقى السمع وهو شهيد بضياء أنوار النبوة، ففي كتاب الله وسنة نبيه وأوليائه «صلى الله عليه وعليهم» هداية للطالين، وتبصرة للمتقين .

واعلم أنه أراد بقوله : «توحيده إياه توحيده»؛ أن توحيده حقيقة هو نفس توحيده، فهو الموحد والموحد، فالموحد نفس الموحد، وهو معنى قوله : «تعالى واحديته سبحانه عن التوحيد بالتوحيد»، فإنه لو كان توحيده بتوحيد غيره لاحتاج إلى موحد، فتكون كثرة تنافي حقيقة الوحدة، فيكون موحد وموحد وتوحيد .

فحقيقة التوحيد إذاً هو فناء الكثرة في الوحدة فناء حقيقياً، فيتحد بالوحدة وتكون عينها، فلا كثرة لأن الصفة عين الموصوف؛ لأن الموصوف يتلون ويتكرر، فتكره عين وحدته، قال شاعرهم :

→...

الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٥٣، ح ١٤، باب : ٦٢، باختلاف كلمة «بأمر رها، بأمر» .

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩١ .

شهدت نفسك فينا وهي واحدة
 كثيرة ذات أوصاف وأسماء
 ونحن فيك رأينا بعد كثرتنا
 عيناً بها اتحد المرئي والرأسي
 وقوله : «ما أفرد الواحد ذو تفريد... إلخ»؛ يريد أنه إذا أفرد
 فقد ميزه وحده، وجعل عينه غيره، فيكون قد أشرك معه في الوجود
 غيره، وهو معنى قوله : «توحيده منك لا اثنيانية... إلخ»؛ يعني إذا
 وحدته بتوحيد غيره، وكنت موحدًا وهو موحد، فقد أثبت اثنيانية،
 وهو متنزه عن الاثنيانية، وأما الذي قبل هذا البيت فظاهر .
 قوله : «إن وحد الواحد ذاته... إلخ»، يريد أنه إذا وحد نفسه
 ووصفها بالوحدانية، فذاك حقيقة التوحيد، وهو توحيد لنفسه، لكنه
 غير كافٍ لي ولا مفيد، بل لا بد من توحيدي له، فإن وحدته وأنا
 مثبت لي وجوداً غيره، فقد أشركت بوجودي وتحقيقي في توحيده،
 فلم أكن موحدًا، مع أنني مكلف بالتوحيد، فكيف يمكن ذلك التوحيد
 مني، إن لم أكن أنا هو وهو أنا، فتكلفني بالتوحيد دليل كوني عين
 الموحد، فيصح مني التوحيد، وإن لم أكن عينه لم يصح مني التوحيد،
 ولا يصح أن يكلفني بالتوحيد الذي هو نفسه؛ لأنني لست نفسه،
 فيجب^(١) حينئذٍ أن أكون عينه، وهو المراد بقوله :

(١) فيجب غير موجودة في «ن-ب» .

ما ذاك إلَّا أنه عيني بلا شرك
وعين سائر الوجود
فالواحد الفرد أنا وهو كذا
إلخ...

يعني أنه ليست الوحدة العددية لاستلزامها الكثرة، بل الوحدة الحقيقية الأحدية التي لا كثرة فيها ولا زيادة عليها، وإنما هي تتلون بما منها لا بشيء زائد عليها، ولا خارج عنها، وإنما الخلق كالثلج في الماء، كما قال :

وما الخلق في التمثال إلَّا كتلجة
وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع
وكالموج في البحر فإذا جمد الماء كان ثلجاً، وإذا ذاب الثلج
كان ماء، وكذا الموج في البحر، فإنه إذا تحرك البحر كان موجاً، وإذا
سكن الموج كان بحراً، كما قال :

كالموج حكمهم في بحر وحدته
والموج في كثرة بالبحر متحد
فإن تحرك فالأمواج أجمعه
وإن تسكن لا موج ولا عدد
فلم يسبق لنا وجود زائد على وجودنا، ولم يحدث فينا، بل ذلك

حالة أزلية قديمة لنا، حالاً وشأناً وذاتاً بلا علة، وإلّا لتعددت العلل في الأزل، ولا قيد^(١) لأن القيود بأسرها حادثة، لا تحل القدم، فلو لم يكن كذلك لتحققت الاثنينية، هذا مراده .

اعلم أن الاثنينية إنما تتحقق بين الشيئين المتخالفين بالذات، والصفة ليست مخالفة للموصوف؛ لأن في الموصوف جهة اقتضاء للصفة، وإن كانت ليس حقيقته، والمخالفة جهة امتناع، فلو كانت الصفة مخالفة للموصف لم تكن الصفة صفة، إذ جهة الاقتضاء لا تكون جهة امتناع، والصفة ليس لها إلّا جهة هي جهة الوصفية، لأنها لا وجود لها من نفسها ولا تحقق، فلا تكون إذن مخالفة له، فتكون باينة متميزة بعزلة، فيحده تميزها، بل بينونتها بينونة صفة، كما قال علي بن أبي طالب^(٢) عايشه : (بائن من خلقه بينونة صفة لا بينونة عزلة)^(٣)، فهو ينفىها ويعينها بظهوره لها بها، لا باتحاد ولا امتزاج؛ لاستحالة كون الصفة عين الموصوف من حيث هي صفة، وإلّا لم تكن صفة .

وقولي : من حيث هي صفة، لا لإخراج حيثية أخرى، أنها ليست لها حيثية أخرى^(٤)، وإنما أردت التنبيه على لزوم هذه حيثية

(١) ولا قبل في «ن-ج» .

(٢) بن أبي طالب غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) تقدم تحريره في الصفة رقم (٢٢) من هذا الكتاب .

(٤) أنها ليست لها حيثية أخرى غير موجودة في «ن-ب» .

لها، وليست أيضاً عينية، وإلا لم تكن غيره ولو باعتبار ما، إذ العينية في البسيط الذات الحق، تنفي الغيرية بكل اعتبار، وإلا لانتفت البساطة الذاتية الحقيقة^(١)، نعم الوحدة سارية في الأشياء سريان قيومية، فهي ظاهرة في كل شيء، فتلك الوحدة صفة الواحد الأحد - جل شأنه - لا ذاته .

ففناء الصفة في الموصوف غيبتها عن نفسها، وترك إنيتها [وشهودها، وعدم تحققها لها، فنظرها للموصوف بها من جهته، فتعرف ربما بما تعرف لها به، الذي هو تحققها به لا تحققها من نفسها]^(٢)، إذ لا تحقق لها في نفسها من حيث نفسها^(٣)، فإذا أفرد الموحد نفسه، وأثبت له استقلالاً لم يكن موحدًا، وإن قال : لا إله إلا الله، بل هو حقيقة الاشتراك الوجودي، وإذا كان نافيًا للاشتراك في العبادة .

وأما الفناء في الذات، وكون الذات عين الصفات فمحال، بل ليس بشيء كما سبقت الإشارة إليه .

(١) الحقيقة في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) من حيث نفسها غير موجود في «ن-ج» .

[الجوهر الأول] [في الموحّد]

قوله : «الجوهر الأول : اعلم - وفقنا الله وإياك - أن الموحّد من كان توحيدِه لا عن علة ولا سبب ولا واسطة، بل الموحّد من التوحيد شأنه فعلاً وحالاً، وعلماً ومقالاً، غير مقيّد بمشهد دون مشهده، ولا مخصّص بمنظر، أو اسم أو صفة أو نعت، بل توحيدِه لوحدة الشيء، لشيئته التي يستحيل فيها التعدد، فافهم» .

أقول : اعلم أن التوحيد له مراتب يختلف الموحّدون باختلاف مراتبه، فالموحّد في الحقيقة^(١) من كان التوحيد شأنه؛ بمعنى أنه تنطوي كثرته من ذاتياته ولوازمه، ونسبه في وحدته، فيشهد كل شيء في كل شيء بلا اختلاف، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾^(٢)، فلا يشهد غيره، فتتنطوي الكثرة في وحدته، فلا يرى إلّا نفسه بربه، إذ الأحوال كلها أحواله، وتنطوي وحدته في الوحدة التي هي أصل الوحدات^(٣)، ويفنى عن نفسه فلا يشهد عينه، وإلى المقامين أشار

(١) وبالحقيقة في «ن-ب» .

(٢) سورة الرحمان، الآية : ٣ .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «وقولي : الوحدة التي هي أصل الوحدات،

أريد بها صفة الحق الفعلية؛ لأن ذاته لا تكون أصلاً لشيء، ولا يعبر عنها

بشيء .

الشاعر بقوله :

كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الـذهن إليّ
كثرة لا تنهاهـى عدداً

قد طوقها وحدة الواحد طي
وتنطوي وحدته في الوحدة الحقيقية، بعد انطواء الكثرة في
وحدته، فيوحد التوحيد الحقيقي بمشاهدة الحق بالحق، فلا يبصر^(١) ما
سواه، ولا اعتبار له من نفسه، فهذا أمر صاحب هذه المرتبة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .
فيكون التوحيد شأنه فعلاً وحالاً ومقالاً وعلماً، قال الله تعالى :
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٣) .

وفي الحديث : (ما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه،
فإذا أحبته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده، فبي يسمع وبني يبصر،

→...

وتلك الوحدة هي التي أشار إليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : (علة ما صنع صنعه، وهو
لا علة له)، وفي دعاء علي بن الحسين عليهما السلام : (كلهم صائرون إلى حكمك،
وأموهم آيلة إلى أمرك)، وما مر صفة فعلية أشار إليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته يوم
الغدیر بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إذ كان الشيء من مشيئته) . [منه تدلّ] .

(١) يبصر في «ن-ج» .

(٢) فهذا أمر صاحب هذه المرتبة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير موجود في «ن-ج» .

(٣) سورة الأنفال، الآية : ١٧ .

وبي ينطق وبي يبطش، وبي يمشي^(١)، فذلك عند (جذب الأحدية لصفة التوحيد)، وهو البقاء به، (ومحو الموهوم عند صحو المعلوم)، كما قال علي^(٢)، فحينئذ لا يشهد أن له فعلاً ولا علماً، ولا نطقاً ولا تحقّقاً، بل فعله^(٣) هو فعل الله، ونطقه وعلمه وحاله، فافهم .

وأما من كان توحيدِهِ بواسطة وجوده وتحققه، ووجود الآثار فليس التوحيد شأنه، بل هو مقام الفرق، وكذا من وحده بالسبب والعلة، فليس بموحد للواحد الأحد من حيث هو أهل للتوحيد، وأنه الواحد لا بشيء، بل إنما وَحَّدَ من حيث السبب، فلم يكن موحداً للتوحيد بالتوحيد، بل وحده بتحقيقه ووجوده، وهو حقيقة الاشتراك الوجودي، فهو يستدل على التوحيد بتطوراتهِ، وبآثار الخلقية، وذلك اثنيّية لا وحدة ولا توحيد، قال علي^(٤) : (لو عرفت الله بمحمد ﷺ ما عبدته)^(٥)، وكذا حكم العلل والأغراض، وقد أفصح

(١) عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٠٣، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) تقدم تحريجه في الصفحة رقم (٣٨) من هذا الكتاب .

(٣) فعله غير موجودة في «ن-ج» .

(٤) قال عبد الرحمن بن قيس : في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى، وما سأل عنه -إلى أن قال- : ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علي^(٥)، فسأله عن مسائل فأجابه عنها، وكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله ﷺ ؟ .

صاحب ختم الولاية عليه السلام، عن العبادة المحضة للمعبود، لا لغرض المؤدية للتوحيد الحقيقي، لا لعة ولا بواسطة، بقوله : (ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتك)^(١) .

فملاحظة العلة والسبب والواسطة شرك خفي، وهو المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) .
وأما الموحد فهو من عرف التوحيد بالتوحيد، فلم يشهد موحداً وموحداً، فيكون المحبوب حبيباً من دون^(٣) واسطة المحبة؛ لأنها حجاب المحبوب عن المحب، فإنه إذا سكر بالمحبة اشتغل بسورتها عن المحبوب،

→...

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (ما عرفت الله بمحمد صلّى الله عليه وآله، ولكن عرفت محمداً بالله ﷻ حين خلقه، وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته، وعرفهم نفسه بلا شبه ولا كيف) . [التوحيد، ص ٢٨٧، ح ٤، باب : أنه ﷻ لا يعرف إلّا به . نور البراهين، ج ٢، ص ١١٧، ح ٤، باب : ٤١ . بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٧٢، ح ٩، باب : ١٠] .
(١) قصص الأنبياء، ص ٢٤٤ . عوالي الآلي، ج ٢، ص ١١، ح ١٨ . بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٤ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٦ .

(٣) حبيباً بدون واسطة في «ن-ج» .

فحجب عنه بالحبّة فلم يشهده؛ لأنها أعظم حجب الاتصال، وما أحسن ما قال فتح الله بن النحاس :

وكل اتحاد في الهوى فيه سورة

وهل يكسب المخمور الأصداغه

فإذا قطع الطالب علائق المحبة، وصحا من سكره، انكشف ذلك الحجاب، فاتحد بالمحبوب فيكون التوحيد شأنه، وهو التوحيد الوجودي .

واعلم أن ما عبرت عنه بالاتحاد والفناء، فهو صفة من الصفات، لتنزه الذات عن الحلول والاتحاد^(١)، وبكل معنى، وقد أشرت إلى هذه المعاني بما فيه كفاية للمنصف المستبصر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله : «العرض المفارق سألت أول البداية، وارد الوقت عن حالة وليّ من الأولياء في التوحيد، فلم أسمع جواباً غير أنه لبس حالة وجدتها شأن التخصيص بذاتي، فوجدت نسبة الموجودات إلى ذاتي كنسبة شعاع الشمس إلى الشمس، فناداني الوارد مني بعد أن لبس ذلك المشهد عني، هذا هو التوحيد فلا نجب عنه سائلاً بالمقال، فإنما يصح الجواب بالحال، فعلمت أن الرجل كان من أهل حقيقة التوحيد» .

(١) الاتحاد والحلول في «ن-ج» .

أقول : يريد أنه سأل في أوّل البداية وهي أول المعرفة، الحاصلة بالنظر في الآثار حال تحقق الكثرة .

واردَ الوقت؛ أي : الفكر السليم الناشيء عن الفعل الذوقي، المعبر عنه بالشهود في حال الترقّي عن الكثرة، بعد أن كان متلبساً بتلك الظلمة الغيرية، بأن الكثرة لا بد أن يكون منشؤها وأصلها واحدة، هي حقيقة تلك الكثرة، لكن لما خفيت [وحدته في كثرته، إذ كان متشاعلاً بها عنها ولم يعرف نفسه فلم يعرف ربه، وكان قد ظهر له من الآثار ما منعه نزول هذه الديار، فسأل عن حالة الوليّ الذي هو حقيقة] ^(١) وحدته في التوحيد حين تجلّى له، وأشرق بنوره عليه طالباً للفناء فيه بتلاشي كثرته في نفس وحدته، ليعرف نفسه فيعرف ربه، فيكون موحداً والتوحيد شأنه؛ لأنه بدون تلاشي كثرته في وحدته لا يتصل المطلوب، فلا يكون الحبيب عين المحبوب، فلم يجبه بلسان المقال؛ لأنه حجاب الاتصال، بل لبس حالة هي لسان حاله الذي هو شأن التخصيص لذاته، حين ظهر له به، وأشرق عليه نور شمس، فكان غير محجوب بظلمة كثرته، فعرف أن تلك الكثرة ليست بشيء في جنب هذه الوحدة، بل تجلياتها فهي كشعاع الشمس بالنسبة إلى الشمس، فعند ذلك ناداه الوليّ بعد أن تجلّى له واتصل به .

[وقوله] : «التوحيد»؛ يعني أن حقيقة التوحيد فناء الكثرة في

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

الوحدة فناء التوحيد، لأن لا كثرة فيَّ فإن مجلى نور الحق، فإن شئت أن تبقى بعد الفناء فاحلح نعليك وامش برجليك، وانظر قدامك فإن الحق أمامك، وانسب هذه النسبة إليَّ، واعلم أي أنا الفاني في وحدة الحق الباقي، فلذا كان التوحيد شأني .

وقد ورد أن نبياً من الأنبياء قال : (يا رب كيف الوصول إليك؟) .

فأوحى الله إليه أَلقي نفسك وتعال إليَّ) .

قوله : «فلا تجب عنه سائلاً بالمقال»؛ يعني أن الجواب يقتضي كثرة سائل ومسؤول، وسؤال وجواب هو حجاب بينهما، فلا يصح عنه الجواب إلّا بالحال كما عرفت .

واعلم أن الموحّد إذا ترك نفسه، وتلاشى في أنوار عظمة ربه، أشرق عليه باطنه الذي هو حقيقته في صورة رجل من رجال الغيب، فلا يشهد غيره، فينطق له لسان مظهره حين تجلى الحق له، بقوله : أنا المعبود ولا معبود غيري، ولقد تجلى سبحانه بصفة من صفات أسماء صفاته في الشجرة لموسى «على محمد وآله وعليه السلام»، مخاطباً له بأنه ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١)، وكذلك تجلى له في الجبل في نور من حجاب العظمة، مثل سم الإبرة.

وفي الحديث : (إن الكروبيين قوم من شيعتنا، من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم .

ثم قال : إن موسى لما سأل ربه ما سأل، أمر رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً^(١) .

فهذا مقام الجمع، وهو الاتحاد الصفاقي، الذي دلت عليه الآثار الوجودية، والشواهد العقلية، ونطقت به الكتب السماوية، وهو لا يحصل إلّا للخواص، ولقد نهت الشرائع عن التموجات في هذه العبادات؛ لكثرة المدعين، وقلة الواصلين، والمدركون ذاك قليل .
وأما الاتحاد بالذات فدعواه كفر، قد أبطله العقل والنقل، وقد أشرت إلى إبطاله مراراً فراجع ما سبق .

[مقامات الفناء]

قوله : «فصل : لا بد من الفناء عنه أولاً^(٢)»، ثم عنك ثانياً، فبفنائك عن الموجودات تحصل في مقام الشهود، وبفنائك عنك تترقى

(١) السرائر، ج ٣، ص ٥٦٩ . تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٣٥، في تفسير الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف . بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٢٤، ح ١٨ . وفي بصائر الدرجات، ص ٨٢، ح ٢، نادر من الباب، باختلاف بدل «رجلاً، واحداً» .

(٢) عن الوجود في «ن-ج» .

إلى مقام الوجود، فإذا فنيت عن فنائك أبقاك به على أنك عينه، فتراك معدوماً من حيث خليقتك، موجوداً من حيث حقيقتك، فتجلى بالأسماء والصفات كما هي لذاتك بحكم الأصالة والملك لا بالتبعية، ولا بالنظر إلى حقيقة، بل نسبة الكمالات إليك كنسبة الصفات إلى الذات، ولم تزل تسائر هذا المعنى حتى تفقده، فلا تجد سواك، وحينئذ ينكشف لك في باطنك عن مواقع نجوم الأزل، من سماء علة العلل، بلا واسطة اسم ولا صفة ولا نسبة، بل هو وجودك بمعانيك الباطنة عن كل موجود سواك، فإذا وجدت ذلك منك لك^(١) فيك فأنت الموجد الواحد.

أقول : اعلم أن الفناء له مقامات، لا يمكن الفناء في شيء من الأعلى إلّا بعد الفناء في الأدنى والترقي عنه، إذ هو وصلة للأعلى، فإذا فنيت في الأدنى، وقللت^(٢) الكثرة الظلمانية الجسمانية، والشؤون النفسية، أبقاك بك وهو فناؤك عما سواك، فبنائك عن الموجودات وتطوراتها، وكثرة شؤونها، تحصل في مقام الشهود، وهو مقام الفرق، فتشهد الحق واحداً في تعدد الخلق، ظاهراً في كل شيء، فلا تشهد إلّا الواحد الباقي، فهذا هو شهود الواحد المعبود لا غيره، فلا يكون عندك إلّا المعبود، فإذا حصلت في هذا المقام، أمكنك حينئذٍ التلاشي

(١) منك لك غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) تلك في «ن-ج» .

والفناء عن نفسك، فتترقى إلى مقام الأعلى، وهو الفناء في المقام الأعلى بعد الفناء عن الأدنى، المعبر عنه بالوجودي، إذ بدون ذلك لا يمكن الوصول، وكل واصل على اختلاف مراتب الواصلين، بسبب تكثر مراتب الوصول، لا بد له من مقامين؛ فناء عن كثرة ليحصل له الشهود برؤية المعبود، وفناء عن ذلك الشهود، ليحصل في مقام حقيقة الوجود، فلا يرى حينئذٍ عابداً فمعبوداً، بل يضمحل عن كثرة وجوده وشهوده؛ لأنه إذا تجلى له به غاب عن نفسه، فلم يدرك له هوية قائمة بنفسه، وغاب المتجلي له به عنه حين ظهر به، فيكون ساقطاً من البين حالة السكر بلذة الاتصال، وهي حالة بين الفناء والبقاء .

ولقد جرى على لساني في الحال وارد المقال، وقلت :

لقد بدا لي حتى غبت عن وطري
وكان يظهر لي من كل أنحائي
وليس ثمة إلّا الحق أبصره
فغاب عني فلا مرئي ولا رائني
وقلت أيضاً :

قد كنت أرجوك قبل الوصل يا أملني
حقق رجائي فقد هيجت أشواقني
حتى بدا لي سرّ منك أعرفه
فغبت عني فلا فان ولا باقي

فهذا السكر هو المعبر عنه بالفناء المقيّد بالبقاء، فإذا صحى من

سكره؛ بمعنى لم يدرك لذة الاتصال، إذ ليس هناك غيره، بقي في مقام وجوده، فهذا هو البقاء بعد الفناء، كل في مقامه بلا نهاية، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

واعلم أنه إذا بلغ الواصل إلى مقامه الأعلى، أبقاه الحق به حيث لا غيره موجود في رتبة وجوده بالنسبة إليه^(٢)، ولا شاهد ومشهود بالنسبة إليه؛ [يعني إبقاه الحق به نفسه لا بالحق جل شأنه، إذ لا واسطة بين الحادث والقديم، فيتجلى بصفة من صفات أسماء صفاته الفعلية، من الصفة الذاتية العلية، من الحضرة القدسية لذلك المتجلى له، وكلها في رتبة الأفعال]^(٣).

فيكون في حضرة العين بعد كونه في مقام الأين، فيتجلى له بأسمائه وصفاته، فبقاؤه بالحق عين فنائه عن نفسه، وهذا مقام الجمع لا أنه حال فنائه عنه معدوم، وحال وجوده موجود، لا يخالف وجوده وجود من بقي به، فحينئذ ينكشف له في باطنه عن مواقع نجوم أزله، [فأزله مسبوق بأزل من هو فوقه هذا .

وأما عند المتصوفة^(٤) فلا يعنون بالأزل إلّا ذات الحق، الذي هو

(١) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٢) في رتبة وجوده بالنسبة إليه غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) ما بين المعقفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٤) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا الكتاب.

أزل الأزال تعالى الله، وكل عباراتهم تشير إلى ذلك، نعوذ بالله من الجهل والضلال^(١).

فيتصف بصفاته الذاتية، وأسمائه القدسية، من الحضرة العلية، بواسطة التجلي ومظاهر المتجلي.

وأما الاتصاف بالصفات الإلهية الكلية، والتجلي بالأسماء القدسية العلية، فتلك لله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢)، فافهم الإشارة من طي العبارة.

وكل مدع الوصول فليس له محصول، بل إنما ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وكثيراً ما يأتون بما يشابه كلام آل محمد ﷺ، قصداً للتشابه لو نشاء لقلنا مثل هذا؛ ولكن لا ﴿يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وكلها دعاوي، والواصلون قليل، فإن أصحاب النفوس القدسية كالأنبياء والرسل عليهم السلام، لم يدعوا مثل هذه الدعاوي، وإن حصل لهم الفناء في بعض المقامات، أما تسمع قول عيسى «على محمد وآله

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج».

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

وعليه السلام» حين قال له الله سبحانه قال الله : يا عيسى بن مريم ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(١)، فأقر بالعجز، وتنصل -[بالصاد بالمهمله بعد النون- أي: اعتذار مقراً بالعجز]^(٢)، فعبد الله حق عبادته .

فكل من ادعى فوق مقامه لم يعبد الله بل إنما يعبد نفسه، ويحوم حولها، نعم تكلم به صاحب الولاية المطلقة، وقد ذكر هذا المعنى مشيراً إليه الشيخ في الفص الشيني، حيث قال : «وليس هذا الإطلاع إلّا لخاتم الرسول وخاتم الأولياء، ولا يراه أحد من الأنبياء والرسل، إلّا من مشكاة الرسول الختم، ولا يراه أحد من الأولياء إلّا من مشكاة الولي الختم، حتى أن الرسل لا يرونه، متى رأوه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون من حيث كوفهم أولياء لا يرون [ما ذكرنا، إلّا من مشكاة خاتم الأولياء]^(٣)، فكيف من دونهم من الأولياء» .

(١) سورة المائدة، الآيتان : ١١٦-١١٧ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

فكل ما سواه ففناءه فيما هو فان فيه، في صفة من فوق مقامه، فليس يحصل في مقام الجمع المطلق، فكل الأنبياء والرسل إنما يتجلى لهم الحق في صفة من صفات أسماء صفاته .

وأما تجليه بصفة نفسه؛ [أي : الفعلية، لأني ذكرتها مراراً، وأذكر فيما بعد أن كل ما يذكر من وصف ورسم واسم، فإنما هو من صفات الأفعال، وأما الذات فلا تكثر فيها، ولا جهة ولا حيث وحيث، ولا نسبة إليها بوجه^(١)، فهو تجلي^(٢) واحد لا يتكرر، وهو مجلى الجامعة لصاحب اللواء الأكبر، قال ﷺ : (آدم ومن دونه تحت لوائي)^(٣)، (وكنتم نبياً وآدم بين الماء والطين)^(٤)، فافهم .

ابحث في الحقائق الإلهية

قوله : «درة يتيمة في لجة عظيمة، للتحقق بالحقائق الإلهية، حكمة لا يعرفها إلا المختصون»^(٥)، فمن وجد الكمالات فيه، ولم

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) مجلى في «ن-ب» .

(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٧٦، باب : ١٧ . مناقب آل أبي طالب، ج ١،

ص ١٨٣، فصل : في اللطائف . عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٢١، ح ١٩٨ .

(٤) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢١٤ . عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٢١، ح ٢٠٠ .

جواهر الفقه، ص ٢٤٨ . كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٢٩ . سبل الهدى

والرشاد في سيرة خير العباد، ج ١، ص ٨٠ .

(٥) المحققون في «ن-ب» .

يظفر بتلك الحكمة، لم يقدر على إظهار شيء من أثر تلك الكمالات، فإذا عثرت على كيفية التحلي من الحق بصفاته، انفتح لك باب إلى تلك الحكمة من حيث الذوق، وحينئذ تعرف معنى قول سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قَدْ تُرَى^(١)، حيث يقول : كل الأولياء وصلوا إلى القدير^(٢) فوجدوه رتقاً فوقفوا، إلّا أنا فتحت لي فيه دوزنة فولجت فيها، فدافعت القدر بالقدر» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن التحقق بالحقائق الإلهية، هو التجلبب بجلباب المعارف، والتعري من ملابس الجهل، ودعوى الإنية، التي هي منشأ الكثرة، المعبر عنها بالحجب الظلمانية، التي أشار إليها بقوله عليه السلام: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه)^(٣).

فالمعارف هي تلك الحجب النورانية، وهي صلة الانفصال، وحجب الاتصال، فإذا تخلق العبد بالأخلاق الكمالية النفسية، بعد أن أخلص لله العبودية البدنية، وهذب نفسه من الرذائل الخلقية، وأدبها بالآداب الشرعية، ومنعها من الشهوات، وقطعها عن شوب العلائق

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (١٨) من هذا الكتاب .

(٢) القدر في «ن-ب» .

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣١ .

البدنية، تحقق بالحقائق الإلهية الجزئية، لا الحقائق الإلهية الكلية^(١)، المنسوبة إليه نسبة إضافية، وقام في معارج الكمال، وظهر له الحال، وبقي سائر إلى الله مدياً^(٢)، فإذا كان كذلك أشرقت أنوار المعرفة، وتحلى بجلية الوجود، وغفل عن العابد بوجود المعبود، فيعرف أنه لا إله إلا الله، ولم يعبد رباً سواه، فحينئذ يتجلى له فيما أعطاه بصفة من صفات أسمائه، ويفنيه في تلك الصفة التي هي حقيقته من ذلك التجلي، فيعرف مزبور أموره وغايرها، ويكشف له الشيء^(٣)، ويراه رؤية عيان لا رؤية إخبار، فترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، هذا فيما سوى الكامل المطلق .

وأما الكامل الحق^(٤) فهو الله سبحانه، فإن مقامه حق اليقين، لأنها مرتبة الجامع، ولذا لم يذكر سبحانه مقام حق اليقين في كتابه للواصلين، فمرتبة جامع المراتب درجة صاحب المواهب، لأن عين اليقين رؤية الحق بالحقيقة .

وأما حق اليقين فرؤية الحق بالحق، وتلك لا تتكرر مظاهرها، وإلا لم تكن رؤية الحق بالحق لوحدة الحق، وتنزهه عن الخلق، فقام

(١) الجزئية لا الحقائق الإلهية الكلية غير موجود في «ن-ج» .

(٢) هكذا في المخطوطتين .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الشيء هو أثر المشيئة، وهو حقيقة المشاء»، [منه تَدْرُكُ] .

(٤) الكمال المطلق في «ن-ج» .

حق اليقين هو الدنو من الخالق بلا إشارة ولا كيف، وهذا المقام مقام العبد الذي تحققت له العبودية بجميع أنحاءها، الذي عناه **عليه السلام** حين سأل عن العبد، فقال : **(العين علمه بالله، والباء بونه عن الخلق، والدال دنوه من الخالق بلا إشارة ولا كيف)** ^(١) .

فعلمه بالله هي المعرفة، المعبر عنها بعلم اليقين، والبينونة عن الخلق هي مشاهدة الحق في كل شيء لا بشيء، وهذه المشاهدة هي المعبر عنها بعين اليقين .

والدنو هو الاتصال مع فقد كل وصلة حتى نفسه، فلا يشهد إلّا ربه إذ لا شيء سواه، وهذا الدنو المعبر عنه بحق اليقين .

واعلم أن من قطع علائق نفسه، وحصل في مقام شهوده، انفعلت له الأشياء بالله انفعال أثر، فالله الفاعل به ما يشاء، فتحقق منه أثر الكمالات لظهورها عليه، وقد جاء في الحديث القدسي : **(ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبد المؤمن)** ^(٢)؛ يعني أنه المتحمل أثر جميع الفيوضات الصادرة منه تعالى، فيكون هو الفاعل لظهور أثر الفعل عليه، ولذا أضافه إلى نفسه، ونسبه إليه نسبة اختصاص لا نسبة ملك؛ لتساوي المؤمن والكافر في هذه النسبة دون

(١) مصباح الشريعة، ص ٨، باب : ٢ . تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٤٣،

(٢) عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٧، ح ٧ . كشف الخفاء، ج ٢، ص ٩٩ .

الأولى، إذ نسبة الاختصاص تقتضي كون العبد متصفاً بالعبادة التي هي فعل ما يرضى، وبالعبودية التي هي رضا ما يفعل .
فكل من لم يتصف بالعبودية فليس في الحقيقة عبداً لله؛ بمعنى أنه ليس عابداً له، بل عبد لنفسه، يعبدها ويحوم حولها، قد حجب بالحجب الظلمانية، لدعواه الإنية .

فإذا تحققت ما قلت ظهر لك معنى الحكمة، التي هي رأس تلك^(١) الحقائق الإلهية، وعرفت معنى التجلي من أنه فناء المتجلى له في صفة المتجلى، وأنه متعدد بتعدد المظاهر؛ يعني أن تعدده إنما هو باعتبار تعدد المظاهر، لا باعتباره في نفسه، لأنه ...^(٢) لا يشابه شيء منها شيئاً آخر، وإلّا لاتحد المتشابهان، أو اختلفت^(٣) الجهتان في المتشابهين.

وإن المتجلى لا يتجلى بشيئين من جهتين، وإلّا حصل^(٤) في الجهتين، بل يتجلى بجهة واحدة، هي جهة الإحاطة التي هي القيومية، فوجب أن تكون الأشياء كلها متناسبة مترتبة، يستمد الأدنى الفيض من الحق بواسطة الأعلى؛ لعدم قابلية الأدنى الاستمداد بلا واسطة الأعلى، فالنقص حينئذٍ في القابل لا في الفاعل، فاقضت الحكمة

(١) تلك غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) كلمة غير واضحة في كلا المخطوطتين .

(٣) اختلفت في «ن-ج» .

(٤) تحصل في «ن-ج» .

إجراء الأشياء على حسب قابليتها، فلو لم يستمد الأدنى من الأعلى لما كانت كلها أعلى، فيجب أن تكون كلها شيئاً واحداً لا متكرراً .

فتكثر التجلي باعتبار تقابل المتجلي له، وأما باعتبار المتجلي فالمتجلي شيء واحد، هو نفس ظهوره في المرآة الكلية، فكل صفة من الصفات يتجلي لها في الصفة التي فوقها بذلك التجلي، فتفنى فيها لا غيرها، وهكذا إلى الصفة العليا، المعبر عنها بقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(١)، فيجب أن يكون مظهراً واحداً، وهو الذي أخبر عنه بقوله : (لولاك ما خلقت الأفلاك)^(٢)، وقال سبحانه : (خلقتك لأجلي، وخلقت الخلق لأجلك)^(٣)، (ظاهره للفناء، وباطنه أنا)^(٤).

وقد أخبر عنه على لسانه في كتابه العزيز بقوله : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾^(٥)، فهو السرج المنير، الذي استضاء به كل شيء، كما قال تعالى : ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٦)، فكل يستنير بضوء السراج،

(١) سورة النحل، الآية : ٦٠ .

(٢) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨ . كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٦٤، ح ٢١٢٣ .

(٣) الجواهر السنية، ص ٣٦٣ . علم اليقين، ج ١، ص ٣٨١ .

(٤) الجواهر السنية، ص ٩٥ .

(٥) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٦) سورة الأحزاب، الآية : ٤٦ .

ويهدي بإذن الله؛ لأنه الجامع الكامل، وما سواه ناقص غير واصل، وإن ادعى الوصول فهو جاهل، وإلى جمعه للمراتب الثلاث؛ الشريعة والطريقة والحقيقة، المعبر عنها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، بل كل المراتب الخلقية والحقية التي آخرها الفقر الحقيقي، أشار ﷺ بقوله : (الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل زادي، والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه افتخر على سائر الأنبياء والمرسلين)^(١) .

وقوله : «من حيث الذوق» أراد به الكشف، وهو المشاهدة بالفؤاد الذي هو دليل الحكمة^(٢)، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣) .

قوله : «وحيث تعرف قول سيدي - إلى قوله - : فدافعت القدر

(١) عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢١٢ . مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ١٧٣، ح ٨، باب : ٤ استحباب ملازمة الصفات الحميدة واستعمالها وذكر نبذة منها .

(٢) دليل الحكمة هو : «الدليل الذوقي العياني، الذي تلزم منه الضرورة والبداهة»، ومستنده : «الفؤاد والنقل»، وشرطه : «إنصاف ربك» . [شرح الفوائد، ص ٧، «حجري»] .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

بالقدر»، يريد أنه لما تحلى وتحقق بالحقائق الإلهية، ظهرت له الحكمة، وهي الاتصاف بصفات الربوبية، وظهورها عليه، فلم يرد له أمر، بل تنفعل له الأشياء، ولا يحجب عنه سر من أسرار الأكوان وذلك بالتجلي .

وأما التحقق بالكمالات والتجلي بها، هو وجود العبد صفات الربوبية لنفسه وإن لم يظهر أثرها عليه .

فالمتصف بالصفات الإلهية، يظفر بالحكمة بالتجلي له من الحق، [إذ الاتصاف بها نسبتها إليه وله، فأمكنه إظهار أثر الكمالات، وتصرف في الأشياء، فدافع القدر بالقدر^(١)، لأن القدر تفصيل لحكم القضاء]^(٢) الذي هو الحكم الإلهي في أعيان الموجودات، وذلك التفصيل مصمت لا أثر لأحد فيه، ولا مدخل له، ولا تصرف إلا من جذبه نور الأحدية من الأين إلى حضرة العين، ومقام المحبة، فإنه يفعل بالله، ويتصرف تصرف المالك في مملكته؛ لأنه بعد ما أطاع الله انفعلت له الأشياء، وقد جاء في الحديث القدسي : (يا عبدي أتعني تكن مثلي، أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون) .

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «هذا عند المتصوفة، أما عند أهل العصمة عليهم السلام، فرتبة القدر سابقة لرتبة القضاء؛ لأن القدر هو الهندسة، والقضاء هو إتمام المقدر» . [منه تَدُلُّ] .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

وقوله : «وقفوا»؛ أي : لم يمكنهم الولوج؛ لأنهم وإن تحلوا بالحقائق الإلهية، وأشرق على بواطنهم، لكنهم لم يتصفوا بها؛ بحيث ظهرت على ظواهرهم، حيث لم يحصل لهم التجلي الكامل، وكثيراً ما يدعي مثل هذه الدعاوي، كما نقل عنه في الإنسان الكامل، أنه قال : «يا معشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه»، وكذا نقل عن أبي المغيث أنه قال : «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»، وهذا هو الإلحاد الباطن، أعوذ بوجه الله الكريم من مضلات الفتن .

[كمالات الذات المقدسة]

قوله : «الكنز الخفي يا هذا أما علمت أن الحق له كمالات لا يعرفها غيره، وأن تجليه الذاتي لا يسعه الوجود بأسره، فلا يظهر بكماله إلّا لذاته وفي علمه، فلم يطق الوجود كمال ظهوره بالكنه والذات، بل ولا بكمال الأسماء والصفات، فلم أنت تحب منك ظهور كلما تجده فيك، وذلك محال لضيق الكون عن ذلك، فإياك ثم إياك أن تطلب ما لا يمكن، فإنه غير لائق بك، وتحت هذا الكلام سر جليل، لو وقفت عليه لعرفت الأمر الذي لا تسعه العبارة، ولا تحتمله الإشارة، ولكن قد انجلي عليك باطنك بكل معنى من معاني الكمالات الإلهية، التي تظهر في الكون، والتي تختص بالحق، فافهم .

واعلم أن الكمالات المتعينة لك فيك، منها ما يختص بك بكل معنى دون كل أحد، فكمال تجليها في عالمك لك، ومنها ما يمكن ظهورها في العالم بضرب الحكمة، ﴿وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١).

أقول وبالله التوفيق : اعلم أنهم يريدون أن الذات له كل الكمالات، وأنه يستحق جميع الأسماء، والصفات الكمالية الحقيقة والخلقية بلا نهاية، إذ الكمالات يستحيل عليها التناهي، فهو يقتضيها بهويته، فتقع عليها كل العبارات، وتناولها كل الإشارات، ولكن لما لم تخط ولم يشتملها شيء لم تدرك بعبارته، ولا تفهم بعلوم إشارة، لأن الإحاطة للذات، ولا يحيط به شيء من الصفات، قال في الإنسان الكامل : «اعلم أن ذات الله تعالى عبارة عن نفسه التي هو^(٢) بها موجود، لأنه قائم بنفسه، وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته، ويتصور بكل صورة يقتضيها منه كل معنى فيه؛ أعني إن اتصف بكل وصف يطلبه كل نعت، واستحق لوجوده كل اسم دل على مفهوم يقتضيه الكمال .

ومن جملة الكمالات عدم الانتهاء، ونفي الإدراك، فحكم أنها لا تدرك، وأنها مدركة له، لاستحالة^(٣) الجهل عليه، ولقد قال :

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٢) هو غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) لاستحقاق في «ن-ب» .

أحطت خيراً جملة ومفصلاً
بجميع ذلك يا جميع صفاته
أم جل وجهك أن يحاط بكنهه
فأحطته أن لا يحاط بذاته
حاشاك من غاي وحاشا أن تكن
بك جاهلاً ويلاه من حيرته
واعلم أن ذات الله تعالى غيب الأحدية، التي كل العبادات واقعة
عليها من وجه، غير مسبوقة لمعناها من وجوه كثيرة، فهي لا تدرك
بمفهوم عبارة، ولا تفهم بمعلوم إشارة»^(١) .

وقال في موضع آخر : «حكم الذات في نفسها، شمول الكليات
والجزئيات، والنسب والاعتبارات بحكم بقائها، بل بحكم اضمحلالها
تحت سلطان أحدية الذات، فمتى اعتبر فيها اسم أو وصف أو نعت،
كان حكم المشهد لذلك المعتبر لا للذات، ولهذا قلنا : إن الذات هي
الوجود المطلق، ولم نقل الوجود القديم أو غيره»^(٢) .

ويريدون بتجليه الذاتي ظهوره لنفسه بكل الكمالات، وجميع
الصفات، وهي غير متناهية ولا مدركة، وإن أمكن إدراك الذات، فإن
هذا التجلي لا يسعه الوجود بأسره، فلا يظهر بكل كماله إلّا
لنفسه .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٢٧ .

(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٧٦ .

قال في الإنسان الكامل : «اعلم أن الصفة عند المحقق، هي التي لا تدرك وليس لها غاية، بخلاف الذات فإنه يدركها ويعلم أنها ذات الله تعالى، ولكن لا يدرك ما لصفاتها من مقتضيات الكمال»^(١)، ثم قال بعد : «مثاله أن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية، إلى المرتبة القدسية، وكشف له عنه، علم أن ذات الله تعالى هي عين ذاته، فقد أدرك الذات وعلمها، قال رسول الله ﷺ : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢)»^(٣).

ثم قال أيضاً : «فإذا ما المدركة إلّا الذات، وما غير مدركة إلّا الصفات؛ لأن عدم التناهي هو من صفات الذات لا من الذات، فالذات مدركة معلومة محققة، والصفات مجهولة غير متناهية، وكثير من أهل الله حجّبوا لهذه المسألة، فإنهم لما كشف الله عن ذاته أنه هم، طلبوا إدراك صفاته فلم يجدوها من أنفسهم فأنكروه، فلم يجيبوه إذ ناداهم، ولم يعبدوه إذ قال لموساهم، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(٤)، وقالوا له : لست إلّا المخلوق، لأنهم اعتقدوا في الحق أن تدركه ذاته، وتجهل صفاته، وكان التجلي على خلاف المعتقد، فحصل الإنكار، وظنوا أن الصفات تدرك في الذات شهوداً كما

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٣٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

(٣) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٣٩ .

(٤) سورة طه، الآية : ١٤ .

تدرك الذات، ولم يعلموا أن هذا ممتنع في حق المخلوق، لأنك إنما ترى وتعاين ذاتك»^(١).

وإنما أوردت كلامه لتعرف مراده، فيتجه لك حينئذ حقيقة الجواب بعد معرفة المراد، فأقول : اعلم أن الحق -جل شأنه- كماله عين ذاته، بلا مغايرة ولا حيثية؛ لأنهما صفتا حدوث لا يقعان عليه، فلا يصح عليه الوصف، ولا الاسم من حيث الذات، وكل ما يعبر به عنه أو يطلق عليه فتعبير وتفهم للخلق^(٢)، لا لمفهوم فيه ولا عنوان، بل إنما يصح اطلاق الأسماء والصفات من حيث الصفات، فهو المجهول المطلق بذاته، الغائب المفقود، والمعلوم بصفاته، الحاضر المشهود، ظهر للخلق بما تعرف لهم به، من صفاته التي هي حقائقهم، فكل إنما يدرك جهته التي منها بدأ، وإليها يعود لا يتجاوز ذلك، والحق سبحانه غيب لا ينال، ولا يعرف له حال، ولا كمال زائد على ذاته، وإلا لكان محتاجاً إليه، فيلزمه النقص، فكل كمال ينسب إليه، أو صفة تقع عليه، فإنما هو صفات إضافية، نسبها إلى نفسه؛ لأنه خلق صفة له وهي مجمع الصفات، ومحل التعينات، فكل كمال ينسب إليه^(٣) معبر عنه بلسان، أو يصح اطلاق العبارة عليه، أو يمكن إدراكه، فهو صفة تلك الصفة العليا .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٣٩ .

(٢) للخلق غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) ينسب إليه غير موجودة في «ن-ب» .

وأما الذات فتعالى عن الوصف بكل اعتبار، وتنزه عن مجانسة الأغيار، وإلّا لكان محدوداً مميزاً ولو باعتبار، والحد والتمييز من لوازم الحدوث، قال **عليه السلام** : (كمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفى الصفات عنه)^(١)، فلا يكون موحداً من وصفه؛ لأنه قد أدركه بصفة، وصفته عين ذاته، فقد أدرك ذاته، وكل مدرك محاط به، وكل محاط به متناه مميز فيكون حادثاً، نعم تعرفه بصفات أفعاله، وآثاره الدالة على وجوده، قال **عليه السلام** : (من وصف فقد أثبت، ومن لم يصف فقد نفى، وكلا الأمرين خطأ)، فافهم .

وأما كمال الذات فهو الذات، والكمالات راجعة إلى صفة الذات المخلوقة، المعبر عنها بالحق المخلوق، وتلك الكمالات أيضاً لا يعلمها إلّا هو، فلا يصح أن يقال : إن لذاته كمالات؛ لأنه الواحد بالذات بكل اعتبار، فإذا أطلقت عليه الصفات الذاتية، فذلك وصلة للأفهام، وتنزيهه عن النقص عند الأنام، لا أنها كمالات راجعة إلى ذاته، إذ ليس لذاته إلّا ذاته، ولا يصح تنزيه الذات بالكمال عن النقص؛ لأنه نقص الكمال المطلق، أما تسمع قول الرضا **عليه السلام** حين سأله عمران الصابي، هل كان الكائن الأول معلوماً لنفسه عند نفسه؟ .

(١) تقدم تخرجه في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

قال الرضا عليه السلام : (إنما تكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه، وليكون الشيء نفسه بما نفى عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يخالفه، فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه، بتحديد ما علم منها، أفهمتَ يا عمران؟) ^(١) .

أراد أنه سبحانه لا يصح أن يطلق عليه اسم ولا وصف إطلاقاً، يراد منه مفهوم أو عنوان، وإنما هو هو بلا كيف، ولا تعبير ولا وصف، وإن كل اسم أو صفة اطلق عليه فتعبير وتفهم .

قوله : «وإن بتجليه الذاتي -إلى قوله- : بكمال الأسماء والصفات» فتعبير غير صحيح المراد؛ لأنهم يريدون أن الذات يتجلى للذات بجميع كمالاتها، فإذا حصل هذا التجلي خلق الخلق من كينونة ذاته؛ لأنهم مقتضى صفاته وأسمائه، ويقولون : لقد تجلى الله ^(٢) لذاته بذاته، فكأن ما كون بمقتضى ذاته وهو باطل؛ لأن التجلي ظهور، والظهور حدوث بكل اعتبار، لاقتضائه التغير ولو باعتبار، فحقيقة التجلي إنما هو للصفة بالصفة في الحدوث، بل هو عين الحدوث، نعم لو أراد بالتجلي الذاتي هو تجلي الحق للصفة بها، والتجلي الصفاقي تجلي تلك الصفة لما دونها صح، كما قال عليه السلام : (لقد تجلى الله

(١) التوحيد، ص ٤١٧، ح ١، باب : ٦٥ . نور البراهين، ج ٢، ص ٤٦٦، ح ١،

باب : ٦٥ . بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣١١، ح ١، باب : ١٩ .

(٢) الله غير موجودة في «ن-ج» .

لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون^(١)، وقال علي عليه السلام : (لم تحط به الأوهام، بل تجلي لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها)^(٢) .

فالتجلي هو ظهور^(٣) المتجلي للمتجلي له به، وذلك يقتضي المغايرة ولو من حيث التجلي، وكأني بمن لا يعرف الأمر، ولم يسلك في مسلك المعرفة، يتهمكم بهذا المقال، زاعماً أن تجلي الحق للحق على نحو غير ما يتجلي به للخلق، لا يدرك ذلك بالمعقول، لأن تجلي الحق في صقع أجل وأعلى .

فأقول : نعم الحق -جلّ وعلا- من أن تطلق عليه العبارة، أو تدركه الإشارة، فإذا التعبير بالتجلي صفة حدوث وقعت على حدوث، فمن أين عرف تجلي الذات للذات، والمعرفة من سنخ الحدوث، فعلى ما قررناه ليس للذات تجلي إلا بالصفات، وسيأتي تحقيق لذا في آخر الرسالة على سبيل الإشارة .

قوله : «فَلَمْ أَنْتَ تحب منك ظهور كلما تجده فيك،... إلخ»؛ يريد أنك إذا عرفت أن تجلي الذات للذات، ولا يحتمله الإمكان، فلم تطلب تجلي الحق بجميع كمالاته فيك في الكون، فإن ذلك محال،

(١) تفسير كنز الدقائق، ج ١، ص ٥٥ . ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٣١٦ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٣) غير موجودة في «ن-ب» .

لأنك أنت هو بلا أنت، فلا تكون حقاً من حيث أنت خلق .
 قوله : «انجلي عليك باطنك، ... إلخ»؛ يريد أنك بجمع شؤون
 المعبود، فلك الكون بأسره بحكم الأصالة والملك لا بالتبعية، لأن
 وجوده دائر عليك، وكلما فيه منك وراجع إليك، ولذا تسمعهم
 يقولون : ما تتحرك بغلة^(١) في المشرق ولا في المغرب إلّا بإذني .
 قال الشبلي^(٢) : لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء، في ليلة
 ظلماء ولم أسمعها، قلت : إني مجدوع أو ممكور بي .
 وقال غيره : لا أقول لم أشعر بها؛ لأنه لا يتهياً لها أن تدب إلّا
 بقوتي، وأنا محرّكها، فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محرّكها .
 ويقولون : ما في جبتي إلّا الله .
 وقال :

قسماً بقائم بانة أحديّة
 ماست على كثمان جمع صفاته
 ما في الديار سواي لا بس مغفر
 فأنا الحمى والحي مع فلواته
 وقال أيضاً :

فإني ذاك الكل والكل مشهد
 أنا المتجلي في حقيقته لا هو

(١) بغلة غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٦) من هذا الكتاب .

وإني رب للأنام وسيد
جميع الورى اسم وذاتي مسماه
وقال :

قطعت الورى من حسن ذاتك قطعة
ولم تك موصولاً ولا فصل قاطع
وأنت الورى حقاً وأنت إمامنا
وأنتك ما يعلو وما هو واضح
وهذا كله باطل؛ لأنني بينت مراراً أن هذه مرتبة صاحب
الجامعية الكبرى، وبرهنت أن الجامعية لا تكون لمظهرين مختلفين، فمن
ادعائها غير صاحبها فهو مفتر جاهل، رأى سراباً فظنه ماء، ولقد نطق
الحق على لسانه حيث قال : ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١)، من
حيث لا يشعر، فإن البيوت المأمور بإتيانها هو القرى الباطنة، التي
اشتملت عليها مدينة العلم، والبيوت بعدد الأبواب، وهي يد الله
العليا، وكلمته الحسنى، وكلها باب أكبر، قال النبي ﷺ : (أنا مدينة
العلم وعلي بابها)^(٢) .

فكل من لم يكن من هذه البيوت لا يتجلى له إلّا بصفة من

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٢) الاختصاص، ص ٢٣٨ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٧٢، ح ٢٩٨،

باب : ٣١ . الخصال، ج ٢، ص ٥٧٢، ح ١، أبواب السبعين . وسائل

الشيعية، ج ٢٧، ص ٣٤، ح ١١، باب : ٥ .

صفات^(١) أسمائه، هي حقيقة المتجلى له، الجامعة لجميع كمالاته، والكمالات التي له منها ما يكون ذاتياً، هي أحواله وشؤونه واختصاص ذاته بما من حيث هو هو .

ومنها ما يكون له اعتبار تعلق أطواره وأوطاره، بنسخة الاتصال وجامع الأمثال، من النسب والإضافات، وتشريك التكليف في إيجاد التصنيع، وتكليف الشرع .

فإذا تجلى لشيء من الموجودات، تجلى بكل معنى له صورة، حتى لا يبقى له شأن من شؤونه إلّا ويظهر له فيه .
قال الشاعر :

تجلى لي المحبوب من كل وجهة

فشاهدته في كل معنى وصورة

فكل هذه جزئية مستمدة من البيوت الكلية، فلا يظهر الحق لشيء من الجزئية إلّا بوجه من الكلية، من باب التقابل والتعاكس، كالمرآيا المتقابلة، فإن كل واحد لا تنطبع فيها صورة إلّا بما فيها، وذلك هو وجهها من العليا، وهكذا إلى أن تنتهي إلى المرآة الكلية المقابلة للشمس .

قال ابن عربي^(٢) في مشاهد الأسرار حين ظهر الحق على لسانه :

(١) صفات غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) ابن عربي هو : «محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، المعروف بابن عربي، وابن العربي، [ولد في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، عام :

«اعلم وفقك الله أن في قولي : أشهديني الحق، وقال لي وقلت له صفة من صفات أفعاله، جردها من ملابس مناء من^(١) غيوب كلماته في صفة على حقيقة جوهرية ذاتها، ثم نادها في الكون، فأجابته إجابة صورة المرأة للنظر، أو أجابة الظل لشخصه، والفعل يثبت الوصف، والوصف^(٢) يستدعي الموصوف». .

فإنه جعل المخاطب له الذي هو حقيقته، هي^(٣) صفة من صفات مرتبة الجامعة، وهي مقام ربوبيته، فيكون التمثيل بالصورة في المرأة، من باب التقابل والتعاكس في المرايا، لتكثرها من باب مقابلتها للوجه، وإلا لحصلت الجامعة لكل أحد، فتعدد الجهة بتعدد إفاضة الوجه بتكثر المرايا، لكون جهة استعداد بعض غير جهة استعداد الآخر بخلاف التقابل، فإن جهة استمداد الأدنى جهة استمداد الأعلى،



«٥٦٠هـ»، في مدينة «مَرْسِيَّة»، وتوفي في الليلة الثانية والعشرين من شهر بيع الأول، عام : «٦٣٨هـ»[، وهو من كبار الصوفية، له مؤلفات كثيرة؛ منها : الفتوحات المكية، والوصايا، وفصوص النصوص». [راجع في ترجمته كل من : سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٨ . وروضات الجنات، ج٨، ص٤٧ والكنى والألقاب، ج٣، ص١٦٤]. .

(١) هكذا في كلا المخطوطتين .

(٢) والوصف غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) هي غير موجود في «ن-ج» .

إذ ظهور المفيض للأدنى بما فوقه، والشواهد الآثارية، والدلائل العقلية والنقلية ناطقة بذلك، وقد أشار سبحانه بالنظر في الآثار بقوله : ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١)، فإن من نظر ببصيرته عرف أن شعاع الشمس متفاوت شدة وضعفاً، وقرباً وبعداً، وأن الأعلى واسطة في تجلي الشمس للأدنى، وإيصال المدد إليه، إذ لولا الأعلى لم يتحقق الأدنى؛ لعدم قابليته للاستعداد بلا واسطة وإلّا لأعطى .

وأما في المرايا فإذا قابل الوجه بواسطة أشعته مرآة انطبعت صورة الوجه في تلك المرآة، فإذا قوبلت تلك المرآة بأخرى انطبعت الأولى مع صورة تجلي الوجه فيها في الأخرى؛ يعني أن الوجه يتجلى للثانية في الأولى، بصفته التي هي وجهه وهكذا، فالصورة التي [في المرآة الأولى تقابل الوجه وتنفى فيه، والثانية تقابل الأولى وتمتد منها، فالأولى تدور على الوجه، والثانية تدور على الأولى وهكذا]^(٢)، فلم يتكرر المفيض ولا الفيض، وإنما التكرر في المفاض، فالوحدة التي في الوجه هي الوحدة الحقيقية لا الجنسية، أو النوعية أو التعددية، وإلّا لصح فيه اعتبار الجهة، ولا الشخصية وإلّا لانتفعت الإحاطة .

فالتعدد في المرايا من التقابل لا من المقابلة، وإلّا للزم التساوي في

(١) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

قبول الفيض من المفيض، ولما اختلفت^(١) شدة وضعفاً، وقرباً وبعداً، إذ هي معنى القبول، إذ لم يكن لها تحقق قبله، ولا وجود لها بحال، وإنما نفس شيئيتها قبولها للفيض؛ لأنها أثره، فافهم .

ولا يذهب عليك أنه إذا قابلت الشمس مرايا متعددة، وكذا لو قابلت الوجه، فإن تلك كلها قابلة لمرتبة الجامعة من حيث المقابلة والاقتراس، وإنما تختلف بحسب قابليتها في الكيف والكم، لا في القرب والبعد فإنها أوهام؛ لأن الفرق ظاهر بين بين الحالين، ولا يلزم أن يكون الممثل مطابقاً للممثل به^(٢) من كل جهة فاعلم أن الوجه، وكذا الشمس إذا قابلتها المرايا المتعددة، تكون كلها متساوية إليها في القرب والظهور، فيجب أن توجد الأشياء دفعة واحدة بلا سببية حتى في الزمان، إذ السببية فرع التقابل لا المقابلة .

[و] لا يقال : التأخر متوقف على الشروط والأسباب، لأننا نقول: إن الأسباب والشروط إنما كان فيها متأخر ومتقدم للتقابل، إذ لولاه لم يكن تأخر وتقدم^(٣)؛ لعدم نقص المفيض والفيض، فنقص الفائض من^(٤) حكم التقابل، وحكم الأسباب والشروط حكم ذوي الأسباب والشروط، بلا فرق بينهما، وأيضاً لو لم تكن الأشياء

(١) خلفت في «ن-ج» .

(٢) به غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) وتقدم غير موجودة في «ن-ج» .

(٤) عن في «ن-ج» .

بالتقابل، لوجب تعدد جهة التجلي والظهور، وهي تنافي صرف الوحدة في الواحد، التي لا حث فيها ولا حيث، بخلاف الحادث كالشمس والوجه، فإن لهما جهات تكثر، وحيثيات هي نسب الحدوث .

والتمثيل بالمرايا إبانة عن وجود القابلية، وكيفية التجلي خاصة، إذ مثال الفعل والانفعال حقيقة مثل الشمس وأشعتها المنفعلة منها^(١)، فإنه يمتنع أن يوجد الجزء الثاني قبل الأول، أو معه أو بدونه، وإلا لما كان الأول أولاً والثاني ثانياً، بل إما أن يتحد أو ينتفي الأول، فلا تعطى الأشياء ما اقتضته بحسب قابليتها، فيجب انتفاء الحكمة، فيستلزم انتفاء الكمال المطلق، فافهم .

[بحث في الصورة الإنسانية]

قوله : «الكبريت الأحمر، اعلم أن ذاتك هي المشار إليها بجميع تلك الكمالات، وعينك المسماة بجميع تلك الأسماء والصفات، فلا تتصنع ولا تستعجل، فالاستجلاب حجاب، وإلا له شغل بغير، والرجوع إلى الأصل إهمال الفرع كل هذا^(٢) دور وتضييع، والطريق أن تتجلى بما لك، إذ كل الكمال كمالك، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾^(٣) .

(١) عنها في «ن-ج» .

(٢) هذا غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) سورة الشورى، الآية : ١٥ .

وكان أبو سعيد الخراز قدَّمُ يتمثل بهذا البيت :

فأثبت في مستنقع الموت رجله

وقال لها من دون أخصك الحشر

فهم ذلك من فهمه، وعلم ذلك من علمه، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١) .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن حقيقة الإنسانية هي الهيكل الذي خلقه الله على صورة فعله، فهي هيكل التوحيد، وهي الكتاب الذي كتبه الله بيده، وحلاها بقدسه، وأضافها إلى نفسه، والنموذج الذي حوى كل الكمالات، واجتمعت^(٢) فيه كل المتضادات، وإليه الإشارة بقول علي عليه السلام، كما في الغرر والدرر : (إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجمع صور العارفين، وهي المختص من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار) .

وقال عليه السلام : (نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية، وانطوى فيها العالم الأكبر)، وهي مظهر جميع المراتب، وهي التي

(١) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

(٢) واجتمع في «ن-ب» .

تنفعل لها الأشياء؛ لأنها سر الإنشاء، والآية الكبرى التي أخبر عنها علي عليه السلام، بقوله : (ما لله عَجَلٌ آية هي أكبر مني)^(١) .

فالإنسان الكامل هو كامل نوع الإنسان، وما سواه فنسخة ذلك الهيكل، قال تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢)، يعني لعلي عليه السلام، ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿وَقَالُوا آلَهِتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾^(٣) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤)، فكل ما سواه فكماله إضافي .

فقوله : «كل الكمالات كمالاتك، وعينك المسماة... إلخ»، يريد على معتقده أن ذاتك هي حقيقتك، وعينك هي حقك التي أنت بها هو، فيصح إطلاق الأسماء والصفات الذاتية من حيث عينك، وإطلاق الكمالات عليك من حيث أنك مظهره الذي تجلّى فيه، وظهر لكل شيء به، وقد عرفت مما قدمنا فساد هذا الاعتقاد .

وقوله : «فلا تتصنع ولا تستعمل... إلخ»، يريد أنك لا تخرب

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٣٢، ح ٣، باب : أن الآيات التي ذكرها الله ﷻ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام . تفسير الصافي، ج ٥، ص ٩٢، في تفسير معنى الآية : ١٨ من سورة النجم . تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٩٢، ح ٥ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٥٧ .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٤) سورة الزخرف، الآيات : ٥٧-٥٨-٥٩ .

دارك بتعمير جارك، وتطلب الصعود بدون سلم، وتزين بما لم يكن فيك بتركك ما منك فإنه تصنع، ولا تستعمل الاشتغال عن وجودك بملاحظة طلب شهودك فإنه حجاب، وملاحظة الترقى عن العبادة إلى مقام الشهادة بُعد عن المعبود، بل نفس الإقبال على العبادة للمعبود، هو قرب المعبود، ومقام الشهود، وفقدان كل موجود، فالتصنع هو معنى قوله : «فلاستجلاب حجاب» .

واعلم أن ملاحظة العبادة والعبودية، شغل عن المعبود أيضاً، بل هو الشرك الخفي، وتحققها عنده رياء باطن، وهذا المراد بقوله : «والآلة شغل بغير، فإن العبادة التي هي الامتثال بالأوامر الشرعية آلة^(١) يتوصل بها إلى العبودية» .

والعبودية التي هي الرضا بالقضاء والطمأنينة، والثبات على ما يراد منه، وما يصدر عليه، المسماة بالطريقة وتهذيب النفس، وتأديبها وتوقيفها على الحدود التي تراد منها، آلة تستعمل ليتوصل بها إلى المعرفة الذوقية الكشفية .

فملاحظة ذلك شغل بها عن المعبود، المشهود في كل ذرات الوجود، وهي أي : تلك الآلة هو الغير الذي عناه بقوله : «شغل بغير»، وهذا أكبر الموانع، وأعظم القواطع، نعوذ بوجه الله الكريم من الشك والشرك .

(١) آلة غير موجودة في «ن-ج» .

[رجوع السالك إلى الأصل بترك الأعمال الظاهرة]

قوله : «والرجوع إلى الأصل، ... إلخ»؛ يعني أن السالك إذا ترك الأعمال الظاهرة، وإصلاح ظاهره وشؤون به، فقد ضيع فراغه^(١) الذي هو وصلة في صلاح أصله، وكمال معرفته، فاهمال الفرع تضييع للأصل؛ لأنه لا يمكن الرجوع إلى الأصل إلّا بتشديد الفرع وإصلاحه، وأيضاً لا يكمل الفرع ولا يصلح إلّا بالتهيء للرجوع إلى الأصل، فترك أحدهما يمنع من حصول الآخر الموصل للمتروك، فترك أحدهما ترك لنفسه، وللإلزام من حيث اللزوم .

فترك العبادة يمنع من حصول المعرفة المانع من العبادة، وترتب الأثر عليها، وحصول المعرفة اللازم لها، وكذا ترك المعرفة .

ثم اعلم أنه كما أن للبدن تكليفاً خاصاً؛ هو الإمثال بالأوامر الظاهرة، كذا للنفس تكليف خاص؛ هو تهذيبها وتوقيفها عند الحدود التي حددت لها، وللعقل أيضاً تكليف خاص؛ هو المعرفة، والتحقق بالحقائق الإلهية .

فتكليف كل منها لازم للمكلف في هذه النشأة، لا يجوز تركه للتكليف الآخر؛ لأنه نقص في زيد مثلاً إذا عرف حقيقة المعرفة، ولم يأت بالعبادة الظاهرة لم يصل؛ لأن حقيقة الوصول هو القيام بالخدمة والحضور، فالعبادة كالجسد للمعرفة، فلا تحقق لها إلّا بها في هذه النشأة، فافهم .

(١) فرعه في «ن-ج» .

فمن ترك الخدمة ليظن^(١) أنه وصل، فقد جهل حقيقة الأمر، فالتكليف الظاهر مشتمل على التكليف الباطنة، كاشتغال البدن على الروح، فلا تقوم التكليف الباطنة بدون الظاهرة، كما لا يقوم الروح بدون البدن .

فالعارف يعلم أنه ما دام في هذه النشأة فهو ناقص؛ لأن إبقاءه فيها إنما هو للكمال والتكامل^(٢)، وإلا فلا فائدة في إيجاده في النشأة، بل ينبغي لمن تحقق بالحقائق الإلهية، وانكشف على باطنه الأنوار الربانية، وقطع دعوى الإنانية، أن يكون قائماً بالعبادة والعبودية، والاشتغال بالخدمة بدون ملاحظة لها؛ لأنها معراج الصعود، ومنزل الوفود، ليس للوفاد منزل غيرها .

فترك الخدمة مانع من الوصول، وملاحظتها قاطع عن الوصول، التارك مجدوع، والملاحظ مقطوع، فكل له عبادة، وتكليف خاص، قال سبحانه : ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٣) .

فصلاة البدن هي إقامة الأوضاع والأركان، وصلاة النفس بالخضوع والطمأنينة، بين الخوف والرجاء والإيمان، وصلاة القلب بالحضور، وصلاة السر بالمناجاة، وصلاة الروح بالمشاهدة والمعانية .

(١) لظن في «ن-ج» .

(٢) للتكامل والتكميل في «ن-ج» .

(٣) سورة النور، الآية : ٤١ .

فصلاة البدن تنهي عن المعاصي، وصلاة النفس تنهي عن الرذائل، والهيئات المظلمة، وصلاة القلب تنهي عن الفضول والغفلة، وصلاة السر تنهي عن الالتفات والغيبة، كما قال عليه السلام : (لو علم المصلي من يناجي ما التفت)^(١) .

وصلاة الروح تنهي عن الطغيان، وهو معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ - فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ - أَكْبَرُ - مِنْ جَمِيعِ الْأَذْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٢) ، في جميع الأحوال والصلوات .

فالكامل كلما ترقى في مقامات الكمال، تنزل للتكميل ليكون كاملاً مكماً، وهو معنى قوله : أقبل فأقبل، وأدبر فأدبر^(٣) ، فأقبله كمال، وإدباره حقيقة الإقبال، وإذا رجع إلى أصله في سلم العروج، نظر إلى فرعه بعين التدبير، فهو مدغم النظر إليه، نظر من لا يتشاغل به عنه، ليس همه اصلاح هذا الفرع، بل همه إقامته ليصلح له

(١) نصب الراية، ج ٢، ص ١٠٠، ح ٩٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٤٥ .

(٣) عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له : أقبل فأقبل، ثم قال له : أدبر فأدبر، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب) . [أصول الكافي، ج ١، ص ٢٧، ح ١، كتاب العقل والجهل . وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٠، ح ٢] .

أصله فيرجع إلى ربه، فحينئذ يحصل له اللقاء المعبر عنه بالمعرفة الذوقية الكشفية، وبعده الفناء الذي هو مقام الجمع، فيكون ممن يرى الحق في الخلق ظاهراً في كل شيء، وكل شيء مستهلك في وحدة صفته [لا ذاته؛ لأن ذاته لا نسبة لشيء معها بوجه، ولا في التعبير، فافهم] ^(١) .

فهو ظاهر في كل شيء، باطن عن كل شيء، فبطونه نفس ظهوره في كل شيء، فهذا العارف هو الكامل، كما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل هل رأيت في الدنيا رجلاً؟ .

فقال عليه السلام : (رأيتُه وأنا إلى الآن أسأل عنه، ... إلخ)، لأني مكلف، بتدبره في الإيجاد، وتعليمه بطريق الهداية، والرجوع به إلى أصل البداية، فافهم .

فالتطريق الموصل إلى الغاية، والمبلغ إلى النهاية، أن يتجلى بالاثنين، لئلا يكون ساقطاً من البين بتضييع ما أمر به بإصلاحه، وكلف بارفاده، ولقد أدب سبحانه نبيه أقرب الواصلين، وأشرف الخلق أجمعين ﷺ، بقوله : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ ^(٢)، استقامة حقيقة شاملة لجميع حركات قلبك وسكناته، ونفسك وبدنك في جميع نشأتك وتطوراتك، فإنك لا تكون واصلاً إلّا بعد الكمال في جميع الأحوال، وإلّا فأنت غافل، ولذا ورد : (أنه ﷺ إذا تكلم مع

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) سورة هود، الآية : ١١٢ .

أحد التفت بجميع بدنه)؛ وذلك لشدة استقامته في جميع أحواله .

ولما قيل له : لقد أسرع إليك الشيب يا رسول الله؟ .

فقال : (شييتني سورة هود)^(١) .

فقد تحمل أعباء العبودية، وقام بالأوامر والنواهي العقلية والنفسية والبدنية، لم يخالف له حال حالاً، فستقام كما أمر استقامة يعجز عنها الخلق؛ لعدم تأهلهم لبعض ما تحمله، وكذلك أبواب مدينة علمه، أما تسمع قوله تعالى بعد أن أفرد له شأنه، حيث جمعهم معه لأنهم منه، فقال : ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^(٢)، وقتل نفسه في طاعتك، ولذا أخبر -جل شأنه- عنهم بقوله : ﴿وَمَا يُلْقَاهَا -أي : الاستقامة التامة- إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا -على مجاهدة أنفسهم- وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣)، قد استقام في جميع أحواله، وإلا فحظه ناقص، بل لا يكون ممن عني بها وقصد، ولكنه ممن أبعد عنها وصد .

قوله : «وكان أبو سعيد ... إلخ»؛ يريد أنه ترك في مستنقع الموت؛ أي : محل الفناء الذي هو محل الكثرة رجله بعد أن خلع منها فعله في الوادي المقدس، عند الخطاب لرب الأرباب؛ يعني ترك جسمه

(١) الجامع الصغير، ج ٢، ص ٨٢، ح ٤٩١٦ . كنز العمال، ج ١، ص ٥٧٣، ح ٢٥٩٠ .

(٢) سورة هود، الآية : ١١٢ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

بجميع شؤونه، بعد أن طهره بالأعمال الصالحة، وخلع عنه ملابس الشهوات، ونزّهه عن ملازمة الهفوات، فرجع مخاطباً له بأن جميع العالم الذي نهايته الحشر، والرجوع دون أخمصك الذي هو^(١) الأسفل في العظم والجلالة، فكيف بالأعلى، وهذا كناية عن أن هذا الهيكل البشري الإنساني، إذا طهر عن الأدناس البشرية، خضع له الوجود بأسره، قال علي عليه السلام: (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عِلَلِها^(٢))، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد، فقد شارك بها سبع الشداد^(٣)).

[في معنى المعاني الكمالية]

قوله: «إشارة إلى سر لا تحتمله العبارة، هات عرفني أين تجد المعاني الكمالية، التي عبرت عنها بالأسماء والصفات، ثم تنسبها إليه تعالى، فإنه لا بد لك من تعلقها أولاً ثم تنسبها إليه ثانياً، فإذا قلت:

(١) هو غير موجودة في «ن-ج».

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب»: «العلل الأوائل هي: الأسماء والصفات التي هي أرواح المعاني».

والأواخر من العلل هي المعاني التي أولها العقل الأول، فهي تشابه الأفعال في انفعال الأشياء لها، وإضافة الأوائل إلى الجواهر... [في المخطوطة كلمة غير واضحة]. «منه تَدَبُّرٌ».

(٣) مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ١، ص ٣٢٧. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٦٥.
ينابيع المودة لذوي القربى، ج ١، ص ٢١١، ح ١٢.

في علمها، أو قلت: في عقلي، أو قلت: في قلبي، أو قلت: في خيالي، كل ذلك جواب صحيح شائع، لكني أقول: إن علمك لذاتك وفي ذاتك لم يحل فيه شيء غيرك، بل تتعين أنت فيه بجميع معلوماتك؛ لأن المعلوم لا يحل في العلم، هذا أصل لا خلاف فيه، وإلا كان يلزم من ذلك أن الله تعالى يحل فيه معلوماته، وذلك محال، فإذا علمت أن علمك وإن شئت قلت: عقلك، وإن شئت قلت: قلبك، وإن شئت قلت: خيالك، كل واحد من ذلك وجهة من وجوه ذاتك، وجميع ما فيه عينك، وقد وجدت فيه ما وجد من ذلك الكمال، والجمال والجلال، والأسماء والصفات، والعين والذات، علمت أنك المطلوب، والحبيب والمحبوب، فتأمل هذه الكلمات، فإنها يتيمة الدهر، لم يصفها أحد قبلي في كتاب، وهي من معارف المسمى بلب الألباب» .

أقول وبالله التوفيق: اعلم أنه يريد أن المعاني الكمالية، التي هي الأسماء والصفات الذاتية، لا يصح نسبتها إلى الحق تعالى، إلا بعد تعلقها بمظهرها؛ لأن الأسماء والصفات الذاتية عندهم كاملة، ولا كمال لها^(١) إلا بوجود مقتضياتها، إذ يستحيل وجود الرازق بدون المرزوق، كما صرح به في آخر الرسالة، وذلك لأنها معان قائمة به، فلا بد لمفهومها من متعلق، ولا جائز أن يكون متعلقها حادثاً، وإلا

(١) لها غير موجودة في «ن-ب» .

لكانت محلاً للحوادث، فيكون الذات محل الحوادث؛ لأن الصفات عين الذات، فوجب وجود الأثر في العلم الإلهي الأزلي لعدم جهله، هذا في كل الأسماء، والصفات النسبية، فإذا لا بد لها من مظهر تتجلى فيه^(١)، ليصح نسبتها إلى الحق تعالى؛ لأن صحة نسبتها إليه فرع تعلقها، وتعلقها بالمناسب ليصح الحكم حينئذٍ، فحكم التعيين إنما هو في التعلق، والمجالي باعتبار الظهور، وأما من حيث الذات واتصافها بها لا من حيث التعلق فلا تعيين فيها، ولا تعين ولا نسبة؛ لأن التعيين والتعين فرع التميز، والنسبة لازمة للناسب من حيث الناسبة، وللمنسوب إليه من حيث التعلق والتضاييف .

فالصفات والأسماء من حيث الاتصاف تنسب إلى الحق أولاً، وإليك ثانياً، بعد أن اتصفت^(٢) بها بحسب التحلي، ومن حيث النسبة والتعيين تنسب إليك أولاً، وإلى الحق ثانياً؛ لأن النسبة فرع الناسب كما سبق، وكذا التعيين، وذلك التعيين إما بالفناء في عالم الأسماء والصفات، الذي هو صفة كينونة الذات، وذلك إذا انجذبت من عالم الأئين، إلى حضرة العين، فكان الحب عين الحبيب، فتجدها صفاتك؛ لأن الذات ذاتك، وهذا مقام الفناء في الوحدة .

وتارة تراها في العقل، وهو مقام الشهود العياني والحصول .

(١) منه في «ن-ج» .

(٢) اتصف في «ن-ج» .

وتارة تراها في قلبك، وهو الشهود العلمي^(١) .

وتارة تراها في خيالك في مقام التصور، وهذا كله صحيح، لكن تعلم أن علمك بها، وثبوتها بالنسبة لك في كل مقام من الأربعة وهو أنت؛ لأن العلم الذاتي عين العالم، وكذا قلبه وعقله وخياله وكل ما منه، فهي وجوه من وجوه ذاته، فيكون جميع ما فيه وما منه عينه، فإذا وجد الكمال، والأسماء والصفات، فيما هو منه من علم أو عقل، أو قلب أو خيال، عِلِمَ أن ذلك عينه؛ لأنه لو لم يكن المعلوم عين العالم، لحل المعلوم في العلم، فيلزم من ذلك أن معلومات الله تحل في علمه الذي هو عين ذاته وهي غيره، وذلك محال؛ لأنه لا يكون محلاً للحوادث وإلاً لكان حادثاً، ولا محلاً لقديم وإلاً لتعددت القدماء، فلم يكن صمداً فيكون حادثاً، بل يجب أن يكون علمه عين ذاته وهو معلومه، لأن معلومه مقتضى أسمائه وصفاته، فإذا علمت ذلك، ووجدت الأسماء والصفات في ذاتك بحسب مظاهرك، ومجالي ذاتك، واتصفت بها كنت أنت المطلوب، وصار الحبيب عين المحبوب، هذا مرادهم على زعمهم .

واعلم أن الأسماء والصفات الذاتية للحق تعالى، لا نسبة لها إليه ولا انتساب؛ لأنهما يقتضيان اثنيية، وصفاته عين ذاته بلا اعتبار، فلا يصح نسبتها إليه؛ بمعنى التضاييف، وإنما نسبتها^(٢) للحق وإضافتها إليه

(١) العلي في «ن-ب» .

(٢) نسبتها غير موجودة في «ن-ب» .

باعتبار صفة أثرها، فتعدد الآثار المختلفة بالنسبة إلى المؤثر، حكمنا بثبوتها ونسبتها إليه إضافة مجازية، وإلا فليس صفات ذاته غير ذاته، ولا تكثر في ذاته، ولا إضافة ولا نسبة، وتلك الأسماء والصفات التي لا يصح نسبتها باعتبار آثارها، فهي صفات حادثة أضافها إلى نفسه، كما قال: (بيتي وروحي وخالقي) .

والآثار المتكررة إليها تنسب، فالنسب والإضافات إلى الحادثة، فالعلم بالمعلوم، والقدرة بالمقدور، والسمع بالمسموع، والبصر بالمبصر، صفات حادثة، هي مبدأ الآثار لهذا التعلق .

وأما الذاتية فلا تعلق لها ولا^(١) نسب، كما قال عليه السلام: (عالم إذ لا معلوم والعلم ذاته، وقادر إذ لا مقدور والقدرة ذاته)^(٢)، فالمقتضيات هي هذه الصفات الفعلية، وهي لا تنفك عن مقتضياتها التي هي الآثار، فافهم .

(١) لا غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لم يزل الله ﷻ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، ...) . [أصول الكافي، ج ١، ص ١٢٨، ح ١، باب : صفات الذات . الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ١٤٢، ح ٣، باب : ١٢ . نور البراهين، ج ١، ص ٣٥١، ح ١، باب : ١١ . بحار الأنوار، ج ٤، ص ٧١، ح ١٨، باب : ١ . تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٨، ح ٣٣] .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن^(١) كلما يمكن نسبته أو إضافته، أو تعقله أو تعلقه، أو ثبوته في مرتبة، أو في عقل، أو في خيال، أو في قلب، فليس هو إلّا الصفات الفعلية، باعتبار تعلقها بالآثار، وظهورها في المجالي، فإذا قيل : وجدتها في عالمها، أو في عقلي، أو في قلبي، أو في خيالي^(٢)، فالمراد بها الأسماء والصفات الفعلية على ما سبق^(٣) .

وأما الذاتية فلا تعين فيها، ولا نسبة ولا تعلق، فلا يصح الحكم عليها ولا النسبة، لأنهما صفتا حدوث لا تقعان على القديم، وقد أبطلنا التعدد ولو باعتبار ما، وسيأتي تمام البحث إن شاء الله تعالى .

فإذاً إنما تدرك العقول مماثلها، وتنال مشابهاها، وكذا القلوب والخيال، فليس بمعنى فتحيط به العقول وتدركه، ولا صورة فيشكله الخيال ويشخصه، وإنما حظها منه إثبات الوجود له فقط، وهو صفة له ومعرفتها بصفاتها، فكل مدرك فإدراكه صفة له باعتبار عروضه وتحديده^(٤)، وهو صفة للمدرك - اسم مفعول - فما صح إطلاق العبارة عليه، أو نالته الإشارة فحادث، والقديم متعال عن ذلك؛ لأن الإدراك تكييف للمدرك، والحق لا كيف له فيعلم به، ولا يتكيف^(٥)

(١) أن غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) أو قلبي أو خيالي في «ن-ج» .

(٣) راجع الصفحة رقم (٢٨) من هذا الكتاب .

(٤) باعتبار عروضه وتحديده غير موجودة في «ن-ب» .

(٥) متكيف بشيء في «ن-ج» .

لشيء فينفع به، فالتعلق والتعقل والنسب إنما هو لآثار صفاته وأسمائه، فكل إنما يدرك من صفات ربه، هي حقيقته لا يتجاوزها، ولا يتجلى الحق له إلَّا بتلك الصفة، فهو يعرفه من حيث عرّفه، ويعلمه من حيث علّمه، فإذا عرّفه العبد بما عرّفه، وتجلّى له به عرف ربه، وشهد نفسه، فلم يعلم غير مقامه، ولم يشهد سواه، فظن أن لا مقام غيره، ولا شيء سواه؛ لأن الحق ظهر له من كل جهاته، فلم تبق له جهة يدرك بها غيره، ويعرف بها سواه، [إذ لو كان كذلك لما أمكن التعبير عن نفسه بأنا، ولم يعرف الوحدة بحال]^(١)، فلا جهة لله بالنسبة إليه إلَّا جهته التي ظهر له بها، إلَّا إن الله جهتين بالنسبة إليه، وإن كانت كل الجهات جهته تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢)، بل أحد له جهة خاصة غير جهة الأخرى لا غير، وإن كان لكل نوع جهة عامة، فيها جهات خاصة لكل فرد من ذلك النوع، هي رؤوس في تلك الجهة العامة .

فإذا تجلّى الحق للعبد، فقد ملأ وجوده بوجوده، حين ظهر بغيه في شهوده، فلم ير في الوجود سواه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) .

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

قوله : «إن عقلك ... إلخ» ظاهر؛ لأن كل شيء ينسب إلى ذاتك، فهو وجه من وجوهها .

وقوله : «وقد وجدت فيه ... إلخ»، فقد سبقت الإشارة إليه، من أنك إنما تجد أثراً من آثار صفات الأسماء، والصفات كالحرارة من النار لا الصفة، فلا يتجلى إلّا بأثر من صفة من آثار الصفات، فلا يجد الأسماء والصفات بنوع من الإدراك، ولا في شيء من مشاعره، لأن مشاعره صفة من آثار تلك الصفات، فلا يتحقق بها، ولا يتصف بها إلّا لله الواحد القهار.

واعلم أن هذه مراتب على مقدمات، نتيجتها وحدة الوجود، [وتلك المقدمات ثبوتها متوقف على ثبوت وحدة الوجود]^(١) حقيقة، وإن أمكن ترتب المقدمات ظاهراً على غيرها، لكنها راجعة إلى ثبوتها، وهي أن العلم صفة ذاتية للعالم، وكلما كان كذلك أي : صفة ذاتية فهو عين الموصوف، أعني العالم، فينتج أن العلم عين العالم، فإذا ثبت اتحاد العلم والعالم أخذنا هذه النتيجة وجعلناها مقدمة صغرى، فنقول: هذا العلم لا ينفك عن المعلوم لذاته، وكلما كان كذلك أي : غير منفك عن شيء لذاته، فهو عينه، فينتج أن العلم عين المعلوم .

ويعني بالذاتية هو ما من ذاتيات الشيء، لا من اللوازم الخارجية المنسوبة للذات، فيلزم حينئذٍ منه^(٢) ثبوت الوحدة المرادة؛ لعدم خروج

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) عنه في «ن-ج» .

الموجودات عن أحد هذه الثلاثة؛ العالم والعلم والمعلوم، ليس غير هذا مرادهم، وهو باطل للدور؛ لأنه لا تكون الصفة عين الموصوف إلّا بهذا الاعتبار -[أي : بكونها من كمال ذاته، لا أنها أثره ولا معروضه]^(١) - بعد ثبوت الوحدة، هذا في الحادث .

وأما في القديم فلا يصح أن يكون لصفته^(٢) مفهوم غير مفهوم ذاته يتحد به، بل كل صفة وقعت عليه، أو نسبت إليه نسبة ذاتية فهي تعبير وتفهم، لا مفهوم لها غير ذاته، فلا يمكن أن يكون لها مفهوم يقتضي الارتباط والتعلق، كما ادعاه من أن صفاته كاملة ولا كمال لوجودها إلّا بوجود مقتضياتها؛ لأن الارتباط والتعلق صفتا حدوث، والكامل بغيره ناقص والغير أكمله، فيلزمه النقص بإكماله له، فعلمه الذاتي ذاته، وقدرته عين ذاته بلا مفهومية ولا كيفية .

وأما العلم الفعلي فالعلم عين المعلوم بلا مغايرة، وهو غير العالم؛ لأنه أثره، والمؤثر لا يكون أثراً بحال، وإلّا لكان مؤثراً لنفسه، فيكون مسبوقاً بها، فيلزمه^(٣) الجهة؛ أي : الحيشية والحدوث، وهما ممتنعان في القديم .

وأما الحادث فعلمه الفعلي عين معلومه، وعلمه الإنفعالي هو غير المعلوم قطعاً؛ لأنه أثر ذلك المعلوم .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) الصفة في «ن-ج» .

(٣) فيلزم في «ن-ب» .

وإنما ثبت للعالم بالانطباع أو الحصول وهما معاً؛ أعني الفعلي والإنفعالي إلى ^(١) غير العالم .

وأما الذي ليس بفعلي ولا إنفعالي، كعلم الذوات بأنفسها، فالعالم وإن كان نفس المعلوم والعالمية والمعلومية حيثيتان له، [فيلزم من أخذ الحيثية في علم الذوات أنفسها كون العالم غير المعلوم أيضاً] ^(٢)، لكنه غير المعلوم؛ لأن هذا العلم نفس ثبوت المعلوم عند العالم من حيث هو معلوم، فافهم .

[الفرق بين ذات السالك الممكنة والذات الإلهية]

قوله : «ضرب مثل على وجه الجدل، لما عرجت ونزل قال بعض الفقهاء : جذبت من عالم الأين إلى حضرة العين، فوجدت المطلوب قريباً، والمحـب حبيباً، ثم قلت له : أيها الأمر العالي، والشأن العالي، أستأذنك في السؤال عن الفرق بين حالك وحالي؟ .

فقال : هل لتجـاب، واعلم أنه لا فرق بيننا إلّا في الألقاب .
فقلت : لم أنت ذو القدرة والعزة، وأنا ذو الذل والعجز؟ .
فقال : لأنك مظهري في عالم الأين، وأنا مظهرك في حضرة العين .

(١) إلى غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

فقلت^(١) : لِمَ كان مظهري هو العالي اللطيف، ومظهرك هو
الدون الكثيف؟ .

قال : لأني حقيقتك، وأنت حقيقتي، فحقيقتك هي الباقية
الوجودية، وحقيقتي هي الفانية الحكمية، وعن قليل أزول، وتبقى
فيزهق الباطل عندما تجيء حقاً، أما علمت أنك مرآتي وأنا مرآتك،
والمؤمن مرآة المؤمن .

فالموجود في صفاتك، والموجود فيك صفاتي، وصفاتك هي
الموجودة الكاملة، وصفاتي هي المفقودة الزائلة، فلهذا إذا رأيته
وجدته ببحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال، وإذا رأيت نفسك
وجدتها محل التغير والحدثان، ومعدن النقص والذل باللسان، ولو
وقفت يا إنسان لإسقاطي رأساً، لما كان عليك جناح ولا بأس،
وكنت حينئذ ترى في ذاتك من الكمالات ما كنت تحسبه في ذاتي،
وتسقط عنك من النقائص ما كنت تظنه من صفاتك، وهي من
صفاتي، فبزوالي تزول الاثنية والاشتراك، ويغلب صيد الأحدية من
ربطة الاشتراك، وهذا لعمرى سم قاتل، إلّا لمن كان له قلب قابل .

شعر :

دع الوقوف مع الآلات والعلل
واحذر من القيد بالأعلام والطلل

(١) فقلت غير موجودة في «ن-ج» .

وأنزل بسحرك ما في الحى من أحد
 سواك واعمد إلى ما شئت من عمل»
 أقول وبالله التوفيق : اعلم أن معنى قوله^(١) : «ضرب مثل على
 وجه الجدل»، يريد أن هذا الخطاب حال الوصول والاتحاد ليس
 بحقيقي؛ لعدم تحقق الاثنية، والخطاب لا يكون إلّا من اثنين، ولكنه
 من باب ضرب الأمثال، إبانة للمقامات حالة الاتصال، وتكلماً بلسان
 الحال قبل كمال الاتحاد بالاتصال، وهو حال عروج السفلى إلى عالم
 النور، ونزول العليا إليها، ليتحدا في الظهور .

[معنى الفقر الحقيقي]

قوله : «قال بعض الفقراء»، يريد بذلك الفقر الحقيقي؛ وهو
 الفقر إلى الله، كما قال ﷺ : (الفقر فخري وبه افتخر على سائر
 الأنبياء والمرسلين)^(٢)، وهذا الفقر هو الجذب المشار إليه؛ لأنه جذب
 الأحدية^(٣) لصفة توحيده^(٤)، لم يرَ شيئاً سواه، ولم يبق له من نفسه
 اعتبار، فحينئذ يجد مطلوبه قريباً مشاهداً، ومحبه حبيباً واحداً .
 واعلم أنهم يريدون بأنه إذا ظهر نفسه عن دعوى الإنية، وكمل
 عن الرذائل الخلقية، كان مجمع الكمالات، ومظهر الأسماء والصفات،

(١) قوله غير موجود في «ن-ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٣) أحديثه في «ن-ج» .

(٤) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٥٦) من هذا الكتاب .

فتكون الكمالات له بالذات، فهو مظهر الحق والحق مظهره؛ لأنه هو لا من حيث هو، بل هما واحد بالذات، إلّا إن الحق مظهره في حضرة العين، وهو مقام الوحدة، وهو مظهر الحق في عالم الأين في مقام الكثرة، فيكون كل منهما حقيقة الآخر في مظهريته، فحقيقة العبد حينئذ هي الباقية، وحقيقة الرب هي الفانية، فتفنى العليا بالسفلى، وتبقى السفلى بالعليا .

فصفات العبودية في الربوبية، وصفات الربوبية في العبودية من حيث المظهرية؛ لأنه مظهر الشيء مجمع صفاته، فكل منهما مجمع صفات الآخر لأن مظهره، فيجعلون الخطاب مع رب الأرباب، وذلك حقيقة الكفر والإلحاد؛ لأن الحق لا يصح عليه الاتحاد، ومظهر الأحدية الجامعية لا يتكرر، كما أسلفناه فراجع ما سبق^(١) .

قوله : «ثم قلت له -إلى قوله- : واعلم أنه لا فرق بيننا إلّا في الألقاب»؛ يريد أنه بعد أن أشرق نور الحق على ظاهره بباطنه، لم يجعل بينهما فرق إلّا في الأسماء، باعتبار الاتصاف بالصفات الظاهرة الزائلة، والباطنة الثابتة، فكل له صفات خاصة له، ظاهر بها باعتبار الآثار الفعلية .

[الفرق بين صفات السالك وصفات الله تعالى]

قوله : «فقلت : لِمَ أنت ذو القدرة -إلى قوله- : في حضرة

(١) راجع الصفحة رقم (٧٤) من هذا الكتاب .

العين»؛ يعني أنك من حيث كونك مظهري في عالم الكثرة، تلبست بالعجز والذل، فلم تنفعل الأشياء لك، وأنا من حيث أني مظهرك في مقام الوحدة، تلبست بالقدرة والعزة، فانفعلت لي الأشياء انفعال الأثر للمؤثر؛ لأن الكثرة أصلها ومبدؤها الوحدة التي هي وحدتي، فأنا الفاعل القادر والعزیز، وهذه الصفات التي تنسب لي في الحقيقة صفاتك لأنني ذاتك، والصفات التي تنسب إليك في الحقيقة صفاتي لأنك حقيقي وذاتي، وهو المعني بقوله : «فقلت : لِمَ كان مظهري - إلى قوله- : هي الفانية الحكيمة»، ولذا تسمعونهم يقولون : وجهي الباقي، ووجه الله الفاني؛ لأنه وجهي، وأنا وجهه، ويحملون عليه قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، يعني وجه ذلك الشيء، فالحق وجه الخلق، والخلق وجه الحق، وهذا ومثله وما بعده تعبير فاسد، موجب للكفر الظاهر والباطن، وإن أريد به معنى صحيحاً؛ لأنه من حيث قوله كلمة الكفر كفر ظاهر، ومن حيث الإلحاد كفر باطن؛ لأنه مدع لمرتبة الجامعة، منكر لصاحبها، فيكون منكراً للحق هنا، ولقد نعت الشرائع والأنبياء والرسل عن هذا، ولعنهم الله في كتابه العزيز بقولهم كلمة الكفر، قال تعالى : ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(٢)، وقال تعالى :

(١) سورة القصص، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٧٤ .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(١)،
فألستهم كافرة، وقلوبهم فاجرة، (لم يستضيئوا بنور العلم، ولم
يلجئوا إلى ركن وثيق)^(٢) .

قوله : «وعن قليل أزول وتبقى، ويزهق الباطل عندما أن تجيء
حقاً»؛ يريد أنك إذا عرجت إلى حالة الاتحاد والاتصال، أزول عن
تميزي وتفردتي، وتبقى بي في وجودي الذي هو حقيقتك، فيزهق
الباطل الحادث من الاثنينية التي هي منشأ الكثرة، عندما أن تجيء حقاً
بي ليس غيرك .

وقوله : «ما علمت أنك مرآتي - إلى قوله - : هي المفقودة
الزائلة»، قد تقدمت الإشارة إليه^(٣) .

قوله : «وإذا رأيتني وجدتي ... إلخ»؛ يريد أنك إذا رأيتني حالة
الفرق، وجدتي بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال، وأنت نفسك
حالة تحققها عندك محل التغير والحدثان، ومعدن النقص والزلل، وهو
ظاهر .

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٤ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٥٩، ١٤٧ ومن كلام له عليه السلام، لكميل بن زياد . الخصال،
ج ١، ص ١٨٦، ح ٢٥٧، باب : الثلاثة . خصائص الأئمة عليه السلام، ص ١٠٥ .
نور البراهين، ج ١، ص ٤٠٢، ح ٤، باب : ١٥ . بحار الأنوار، ج ١،
ص ١٨٧، ح ٤، باب : ٢ .

(٣) راجع الصفحة رقم (١٠٩) من هذا الكتاب .

وقوله : «ولو وقفت يا إنسان ... إلخ»؛ يريد أنك لو وقفت مستقيماً على العهد القديم، وقمت على الصراط المستقيم، لكنت أنت أناً، فكنت ترى في ذاتك من الكمالات حالة الجمع، ما كنت تظنه في ذاتك حالة الفرق، وهو منك وفيك، هذا مرادهم .

فأقول : اعلم أن لكل شيء جهتان هما جناحاه؛ أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره .

فالجناح الأيمن الأعلى؛ هو حقيقته من ربه، وتحققه به .

والأيسر الأسفل؛ هو تحققه من حيث نفسه .

فالجهة العليا هي ربوبيته الذي هو مقام وحدته وباطنه، ولاهوته، ومجلى ظهور ظهور الحق له به .

والجهة السفلى هي عبوديته وناسوته الذي هو ظاهره؛ أعني مقام كثرته الظلمانية، ودعوى الإنية، فإذا طهر ظاهره من الأدناس البشرية، والكثرة الظلمانية، وسَلِمَ من دعوى الإنية، أشرق باطنه عليه، وأضاء بنور ربه، فينجذب من عالم الأين إلى الحضرة المقدسة، المسماة بحضرة العين، فحينئذٍ يخاطب ظاهره باطنه؛ لأنه متوجه إليه، منقطع عما سواه؛ لأنه وجهه من الله، فيطلب منه الشهود الحضورى، بعد حصول العلم الكشفي، فيحصل له بعد ذلك الاتصال، وهذا مع ربه المربي له، والمصالح لشؤونه، الذي هو وجهه من الله، وطريقه إليه، وصراطه المستقيم، ونهجه القويم .

فتخاطب السفلى العليا بأني مظهر صفاتك، وأنت حقيقيتي

وذاقي، وأنا الظاهر الفاني، وأنت الباطن الباقي، فالعجز والذل ملبسي ومني وإليّ، والقدرة والعز منك ولك، فأنا الفاني بلا بقاء، وأنت الباقي بلا فناء .

فإذا تركت إنيتي وكثرتي، رجعت إليك، فكنت أنت حقيقي إذ تحققت بك، وأشرق عليّ النور من جانب الطور، فحينئذٍ يزهد باطل الكثرة، ويحيى حق الوحدة، فأكون بك بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال؛ لأن الكمال كمالك، والجمال والجلال جمالك وجلالك، فأنا مظهرك الذي تتجلى فيه بكمالاتك، فالكمال شأنك، والنقص شأنني، فكلما أرادوا ونسبوه إلى أنفسهم؛ فهو عين الإلحاد^(١) كما بيناه مراراً، فافهم.

قوله : «حكاية عن حال، ووصل من غير انفصال غيبي، وارد الوقت مرة عن الأكوان، وأخرجني بالكلية من عالم الحدثان، فأشهدني صفاتي، ثم أوجدني ذاتي، ثم نقلني مني إليّ، في أطوار كثيرة لي عندي ولدي، فلما قمت على الصراط المستقيم، وحفظت شروط ذلك العهد القويم، وضعت إحدى القدمين في حضرة العين، والأخرى في عالم الأين، فخاطبت السفلى العليا هل تستفهم عن أولها وآخرها؟. فقالت لها : يا من هي ذاتي، والموصوفة بصفاتي، بل يا من أنا ذاتها واسمها وصفاتها، ما لنا متحدان بالعين، متعددان في مقام البين؟ .

(١) الاتحاد في «ن-ج» .

قالت : العليا بظهور ما لنا من المراتب، وبروز ما فيها من المنافر والمناسب، ليجمع مقام الاشفاع والأوتار، وتستوعب كمال الوحدة والاستكثار، وما ذاك إلَّا عبارة عن شؤوني الذاتية، تظهر على مقتضى أحكام الصفاتية، فهي كالأمواج، وأنا البحر العجَّاج .

فقلت السفلى : فما الفرق بيني وبينك؟ .

قالت العليا : ليمتاز حكم عيني من حكم عينك .

قالت السفلى : أما العينان عين فمن أين الفرق في البين؟ .

قالت العليا : نعم نحن عين وحدة الذات، متعددة بالأسماء والصفات .

فقلت السفلى : فلمَ لا يكون لي في وحدة العين مالك، وكيف تتمازين بالقدرة دوني في أفعالك؟ .

قالت العليا : لأنك تكوينين في الوحدة بما تقتضيه حكم الكثرة، فلو كانت في وحدتنا بحكم مشاهدنا من غير علة وتمييز، لقمّت بالقدرة من غير تكلف ولا تعجيز .

قالت السفلى : أنا أشهد أنك إني، ومع ذلك لا يبلغ فنك في؟ .

قالت العليا : ذلك الشهود هو الذي أقصاك ومنعك من بلوغ قصدك؛ لأن شهود الاثنين واحداً يقضي باثنية، وحجاب لمن كان مشاهداً .

فقلت السفلى : فما العمل؟ .

قالت العليا : ترك الخطأ والخطل في وفاء شروط أمر علة العلل .

فقلت السفلى : قد فهمت بعض ما أشرت إليه، فزيديني
إيضاحاً لعلّي أتمكن لديه .

قلت العليا : هذا ميزاني فيه جميع تلك المعاني، فزني فيه نور
شمسك، واسقطي غيرك بإثبات نفسك، يظهر لك السر المصون،
وينكشف لك عن علم الكاف والنون .

فقلت السفلى : كيف قالت العليا : بلا حيف ولا زيف؟^(١) .

فقلت السفلى : ثبتنا .

قلت العليا : سقطنا .

فلما تخاطبا قدامي بهذا الخطاب، فتح لي في الأفق الأعلى ذلك
الباب، فولجت في عالمي، وعقدت حواي بآدمي» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن هذا الفصل كالذي قبله، إلّا إن
فيه زيادات في العبارة قليلة المعنى .

قوله : «حكاية عن حال ... إلخ»؛ يريد بالحال الحضور
الشهودي، وبالوصل الاتحاد الوجودي؛ يعني أنه لما جذبه الشوق
الإلهي بوادر الفكرة السليمة، حالة الانقطاع عن علائقه، غيّه ذلك
الوارد عن الأكوان، وأخرجه عن عالم الحدثان، الذي هو مقام
الكثرة، فحين ترقى عن حضيض التقليد إلى علم اليقين، وقطع علائق

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «قوله : بلا حيف ولا ريف بلا جور ولا

سنة؛ يعني بلا تعبير ولا إسراف» . [منه قُذِّل] .

كثرتة وشهواته، حصل في مقام شهوده، فاستجمع كل صفاته، فتحقق بكمالاته في الظهور، حين أشرق عليه نور ذاته .

ثم لما غفل عن نفسه، ولم يشهد رسمه، كان في مقام وجوده بعد فقدان شهوده، فوجد ذاته بذاته، وتجلي -بالمهمله؛ أي : اتصف- بجميع كمالاته، وتجلي -بالمعجمة؛ أي : أظهر^(١)- بصفاته، فحين تمت له وجوداته، بقي يتقلب في أطواره، ومقامات وجوده، إلى أن قام على صراطه المستقيم، صراط الله الخاص به، وحفظ شروط ذلك العهد، حين سئل في الذر الأول بالإيجاد، وأجاب في الذر الثاني عند الاستشهاد، فمن قال : بلى بوجوده وصبغته، فهو كامل مكمل لما دونه، فيصح له خطاب سفلاه لعلياه؛ أنه أشهد خلق نفسه .

قوله : «وضعت إحدى القدمين في حضرة العين»؛ يعني أنه وضع باطنه في مقام الوحدة، وظاهره في عالم الأين، وهو عالم الكثرة، فخاطبت السفلى علياه، طالبة للإستفهام عن مبدئها ومنتهاها، فقالت: يا من هي ذاتي، والموصوفة بصفاتي؛ يعني يا من هي حقيقي، والمتصفة بصفاتي الكمالية، المنسوبة إليّ وهي لك، وأنا أيضاً ذاتها في مظهر الكثرة، واسمها المميز^(٢) لها في مقام التفرقة، وصفاتها التي تتصف بي في المظاهر، ما لنا متحدان بالعين من حيث الذات في مقام الجمع، متعددان في مقام الفرق والمظاهر .

(١) بالمهمله أي اتصف، وبالمعجمة أي أظهر غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) المتميز في «ن-ب» .

فأجابت العليا بأن الفرق والتعدد بسبب مراتبنا في الظهور والبطون، والكثرة والوحدة، والقرب والبعد، وظهور المنافي الناشئ من مرتبة الكثرة والظلمة، وحصول المناسب الناشئ من مرتبة الوحدة والنور، فالتعدد إنما كان لحكمة الاستكمال، ليستجمع مقام الظهور والبطون، فالبطون هو الوحدة والإيثار، والظهور هو الانتفاع والاستكثار، فهذا التكثر والتعدد شؤوني الذاتية، ظهرت على مقتضى أحكام الصفاتية، فهي كالأمواج، وأنا كالبحر العجاج، ولذا قال ابن سينا^(١) في وصف الروح : «حيث أهبطت لتتصل بهذا العالم، وتعرف ما لم تظهر به في عالمها، إن كان أرسلها الإله لحكمة، طويت عن الفطن اللبيب الأورع، فهبوطها لا شك ضربة لازب؛ لتكون سامعة بما لم تسمع، وتكون عالمة بكل خفية في العالمين، وخرقها لم يرقع، فاعرف ما ألقى إليك من المشاهدة» .

وقوله : «شؤوني الذاتية... إلخ»؛ يعني أن في وحدته اقتضاء لكل مظهر من مقتضيات أحكام الصفات، وهذا مرتب على أن الموجودات بالنسبة إلى الحق شئون ذاتية له، فهي كالأمواج في بحر

(١) ابن سينا هو : «أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد في عام : «٣٧٠هـ»، وتوفي عام : «٤٢٨هـ»، برع في كثير من العلوم منها؛ الفلسفة والطب والمنطق، له كثير من الكتب؛ منها : الشفاء، والنجاة، والإشارات، وغير ذلك من المؤلفات» . [راجع : شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٢٤ . سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ٥٣١]

وحدته، وهو باطل لما قلنا في مطاوي عباراتنا، وهو أن الموجودات
شؤون فعله لا ذاته، إذ لا شؤون لذاته ولا اقتضاء، وإنما الاقتضاء
للفعل الذي هو ظهوره؛ [أي : إحداثه، أي : ظهور ذاته، إذ لو كان
كذلك لكانت له حالتان، فيلزمه الحدوث] ^(١) .

والظهور اقتضى المظاهر، فهو علة المعلولات، والحق علتة لا
باقتضاء خاص في الذات له غير الذات، سابق على المقتضي -اسم
مفعول- لأنه لا حيثية له، ولا جهة فيه، قال عليه السلام : (خلق الله
المشيئة بنفسها -الذي هو نفس وجودها- ثم خلق الخلق
بالمشيئة) ^(٢)، (فبمشيئته كانت الأشياء) ^(٣) .

[ولا يذهب عليك قوله عليه السلام : (فبعلمه كانت المشيئة،
وبمشيئته كانت الأشياء)] ^(٤)، لأن علمه هو ذاته بكل جهة، وبكل
اعتبار فيه كانت .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ١٣١، ح ٤، باب : الإرادة أنها من صفات الفعل
وسائر صفات الفعل . التوحيد، ص ١٤٧، ح ١٩، باب : ١١ صفات الذات
وصفات الأفعال . بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٥، ح ٢٠، باب : ٤ .

(٣) في أصول الكافي ج ١، ص ١٦٩، ح ١٦، باب : البداء . والتوحيد، ص ٣٣٤،
ح ٩، باب : البداء . وبحار الأنوار، ج ٥، ص ١٠٢، ح ٢٧، بدل كلمة :
«الأشياء- الإرادة» .

(٤) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب» .

واعلم^(١) أن المشيئة أيضاً علم لله حادث، فبنفسها الذي هو علمه كانت خلق الله المشيئة بنفسها، فعلمه الذي هو ذاته علة فاعلية، وعلمه الذي هو نفسها علة فعلية، هي علة مادية، وصورية وغائية، فافهم الإشارة .

قالت السفلى : فما الفرق بيننا، طلبت معرفة العلة الموجبة للفرق .

فأجابت : بأن الفرق تمييز للأحكام، وهي الصفات اللاحقة لي، وهي لك، وإلاً فنحن عين واحدة بالذات، والتعدد بالأسماء والصفات.

فقالت السفلى : لِمَ لا يكون لي من الاتصاف والتحلي بالصفات الكمالية، حتى أقدر على إظهار جميع الآثار مثلك، مع أنا عين واحدة.

فأجابت : بأن ظهور الآثار لا يكون إلا للوحدة من حيث الوحدة، لا من حيث الكثرة؛ لأن الكثرة فرع الوحدة وأثرها، إذ كل كثرة لا بد وأن يكون أصلها وحدة تنشأ عنها، وترجع إليها .

فلما كانت في وحدتك بمقتضى حكم الكثرة، لا تحقق لك في هذه الدار، إلا باعتبار الاتصال بالصفات، والتجلي بالكثرة في هذه النشآت، لم تقدر على إظهار الآثار، ولو حصلت في مقام الوحدة

(١) فاعلم في «ن-ج» .

بقطع العلائق، وترك المخالف والموافق، لا تصفت بالقوة والقدرة،
فتتحد بلا تميز في البين، ولا تعدد في العين .

فقالت السفلى : أشهد أنك أنت أنا، وإن كنت أنت الباطن
وأنا الظاهر .

فقالت العليا : لو صدقت في هذه الدعوى لما شهدت؛ لأن
الشهود إقرار للمشهود، وحضور عند المعبود، وهو غير حكم الاتحاد،
فحضورك حجاب بيننا، بل هو أعظم حجب الاتحاد، فإذا خلعت
النعلين، وانخلعت عن الكونين^(١)، وأزلت ما بيننا من البين، حصل
الاتحاد بترك الأجساد في عالمي الكون والفساد .

قال الشاعر :

واخلع النعلين إن جئت إليَّ
ذلك الوادي ففيه قدسنا
وعن الكونين كن مخلعاً
وأزل ما بيننا من بيننا
وإذا ما قيل من تموى فقل
أنا من أهوى ومن أهوى أنا

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «يعني إذا خلعت نعلي نفسك وشهواتك،
وانخلعت عن كوني ظاهرك وباطنك، وأزلت ما في البين من تحقق الاثنين،
وتركت جسد باطنك، وتحققه في عالم كونه وجسد ظاهرك في عالم فساده،
اتحدنا اتحاداً حقيقياً» . [منه تترن] .

فقالت السفلى : فما العمل في الوصول، وكيف الحيلة في الاتحاد؟ .

فقالت العليا : طلب الاتحاد فإنه حجاب، وتصوره مبعد عن الاتصال، إذ الطلب والتصور لا يكونان إلا في مقام الفرق والاثينية .
فوفاء شرط الاتصال أن تقطعي عنك جميع علائقك، بدون شعور منك بهذا الوفاء والقطع، فإن الشعور حجاب الاتصال، وهو معنى ترك الخطأ والخلل، في وفاء شروط أحكام أمر^(١) علة العلل، فحين علمت المراد، طلبت الازدياد .

فأجابتها : بأنك إن تزني بميزاني الذي وزنت به، واعلمتك كيفيته، تصلين وتتصلين، فلم يبق عليك بعد المعرفة إلا العمل بما عملت، فإنك إذا اسقطت غيرك من الكثرة، وأثبتت نفسك في الوحدة بالوحدة، ظهر لك السر^(٢) المصون، الذي سألتني عنه، وهو فيمكنون، وانكشف لك عن عالم الكاف والنون، فتفعلين في الأشياء كفعلي؛ لأنك مثلي، بل أنت حينئذٍ فرعي وأصلي .

ثم قالت السفلى : كيف الاتحاد مع قطع العلائق والشعور، فهل لذلك جهة معينة حتى أتى منها؟ .

فقالت العليا : ليس إلا الفناء فقط، فحين ثبتت السفلى عن التغير والفساد، سقطت العليا بالاتحاد .

(١) أمر غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) السر غير موجودة في «ن-ب» .

قوله : «فلما تخاطبا بهذا الخطاب، الذي هو تأهلها للاجتماع، برفع جهة الاثنية، وفتح له في مقام الوحدة، الذي هو الأفق الأعلى باب الاتصال، ولج عالمه في حضرة العين الذي منه بدأ وإليه يعود، بقطعه شؤونه وعلائقه، ورجع إلى أصله بعد تكميل فرعه، وحفظ شرعه، وعقد ظاهره بباطنه؛ لأن باطنه ينفع له ظاهره، الذي حواه بقدرة القادر على حسب المظاهر .

واعلم أن هذا ومثله مقتبس من كلام أهل العصمة عليهم السلام، إلا إن فيه تغييراً وتحريفاً، قصداً للمشابهة، كما أخبر سبحانه عن طلب ما ليس له بأهل بقوله : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٢)، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، لأن هذا لا يحصل إلا للكمل، الذين أشهدهم الله خلق السماوات والأرض، وخلق أنفسهم فشهدوا بما أشهدهم، في كل رتبة كل في مقامه، وقد أخبر علي عليه السلام عن مخاطبة لاهوته لناسوته، حين سئل هل رأيت في الدنيا رجلاً، يعني كاملاً قد تحلى بصفات قدسه، فأشرق عليه الأنوار، وانفعلت له الآثار ؟ .

(١) سورة الأنفال، الآية : ٣١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٩ .

فقال : (رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه؛ لأني مكلف بتدبيره وإصلاحه، مديم النظر إليه، بالفيض والمدد، ليكمل تكميله لشؤونه، إذ كل ما في العالم شؤونه وأحواله .

فقلت له : من أنت ليجب بما علم من حال نفسه، من الفقر والحاجة إلى ربه) .

وهذا السؤال تكليفه الحقيقي، العام له في ذاته وأوقاته وتطوراته، لأن سائر التكاليف^(١) خاصة، بأزمة وأمكنة خاصة، وكذلك للمكلف، فإن كل عضو له تكليف يخصه، ليس للعضو الآخر فيه مدخل إلا مدخلة الارتباط؛ كالصلاة فإنها وإن كانت تكليفاً للإنسان، لكن الأفعال والأقوال كل منها يختص بعضو خاص .

فالعموم في التكليف الباطن للنفس، من حيث أن لها تعلقاً بالبدن، والعموم في التكليف الظاهر للبدن من حيث تعلق النفس به، وإن كان لكل جزء جزء يخصه من هذا التكليف، في أوقات معينة، وأماكن مخصوصة، فقال : أنا الباطن .

فقلت : من أين؟ .

فقال : من الطين؟ .

فقلت : إلى أين؟ .

فقال : إلى الطين، فأقرّ بفقره وفاقته، واعترف بضعفه وحاجته

(١) التكاليف غير موجودة في «ن-ب» .

إلى ربه، في تحقيقه وأصل مبدئه، ومنتهى أمره، وهو إشارة إلى أن العارف لم يزل في مقام الفقر والعجز والفاقة والذل بالنسبة إلى ربه، فحين عرف نفسه كمال المعرفة، لما أشرق عليه النور ناداه ربه من جانب الطور، بأن (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١)، فإن كنت من العارفين فأجبني جواب الواصلين؟ .

فقلت : من أنا؟ .

فقال : أنت أبو تراب، يعني لما سألته عن حقيقي، أجاب بأنك أنت المربي لي، والمصلح لأحوالي؛ لأنك [أنت الماء الذي به حياة كل شيء، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢)، لأنك الكلمة التامة، التي برزت]^(٣) عنها الموجودات، واستندت إليها الكائنات، فأنت حقيقة الوجود، وأنا بك ذلك الوجود، إذ لولاك لم أكس حلية الوجود، فأكون ميتاً هامداً لا حراك لي إلّا بك، فلو تركتني لحظة عن الفيض والمدد، لم أكن شيئاً مذكوراً، بعد أن كنت ظاهراً مشهوراً .

فقلت : أنا أنت؛ لأنك ظاهري وأنا باطنك، فأكون مثلك في الفقر والحاجة والفناء، وهو اعتراف بالاستناد، وإقرار بالعبودية والرجوع، يعني أي مع ما أنا فيه من العظمة والجلالة، والكبرياء والهيبة، عبد للحق، فقير في جنبه، كما أن جميع الموجودات راجعة

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٣٠ .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

مستندة إليّ بأمره، فأنا أمره، وقد ورد : (لا تدعوننا أرباباً، وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا)^(١) .

وفي الدعاء : (كلهم صائرون إلى حكمك، وأمورهم آيلة إلى أمرك)^(٢) .

فالرجوع إلى الله هو حقيقة الرجوع إلى أمره -جل اسمه- إذ هو الرب الذي يرجع إليه العباد، ويؤول ما في البلاد .

ومعنى الرب المربي، والمصلح بإذن الله تعالى، وفي حديث المعراج، قال جبرائيل عليه السلام : (قف يا محمد إن ربك يصلي)^(٣)؛ يعني حقيقتك، فالصلاة عبادة وخضوع .

وقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي^(٤) ما معنى يصلي؟ .

(١) لم نجد نص الرواية كما هي بل وجدناها بألفاظ أخرى، عن إسماعيل بن عبد العزيز قال : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : (يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم فلن تبلغوا) . [بصائر الدرجات، ص ٢٢٩، ح ٥، باب : ١٠] .

(٢) الصحيفة السجادية، ص ٢٤٠، وكان من دعائه عليه السلام في عيد الفطر .

(٣) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٤٠٣، ح ٦٢٧ .

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي هو : «أحد أذكى العرب المشهورين، إمام في

اللغة والنحو والأدب، واضع علم العروض، وصاحب معجم العين، وشيخ

سيبويه، توفي سنة : «١٧٠هـ» . [طبقات النحويين واللغويين، ص ٤٣-

قال : «يصل النبوة بالولاية؛ يعني إحكامهما»، فافهم .

قال : حاشك من الفقر والحاجة والتغير، بل أنت الباقي، وما سواك فهو الفاني؛ لأن فقرك هو الغنى الحقيقي بالحق سبحانه، فقرك حقيقة الفناء، وفناؤك حقيقة البقاء، والتغير والتبدل لا يطرؤ عليك بحال؛ لأنك سر الأسرار، ومبدأ الأنوار، فالتغير جلباب الحادثات، وأنت منزّه عن وصمة الكائنات، هذا من الدين في الدين .

إن ادعيت أنا أي مثلك ومشابهك، فهو من القول الكذب الباطل، في المعتقد الباطل الكذب؛ لأن الدعوى الظاهرة غطاء وحجاب عن المعرفة، والترقي والدعوى الباطنة غطاء على القلب، وحجاب عن الاتصال والمشاهدة، فحين عرف ظاهره؛ أي : الناسوت نفسه، وعرف ربه، كما قال عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١)، الذي هو حقيقته، أراد باطنه ولاهوته، أن يظهر له السر المصون، والسر المستتر بين الكاف والنون؛ لأنه كلمة الله العليا، التي بها كانت الكائنات، وظهرت الموجودات، وأشرقت الأرض والسموات، ليكمل ويحصل في مقام الجمع بعد كونه في مقام الفرق .

أنا أنا؛ أي : أنا الواحد الظاهر في كل شيء، والقائم بي كل شيء، الساري في كل شيء، ومرجع كل شيء، فأنا العلة

(١) تقدم تخرجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

للمعلولات، وسر الموجودات، والحق سبحانه علة العلل^(١)، فأنا
الواسطة والرابطة، قال علي بن الحسين عليهما السلام، كما رواه صاحب

(١) يرى الشيخ علي نقى قدس سره بأن الله علة العلل، ولكن ليس على النحو الذي
طرحه فلاسفة المدرسة المتعالية كصدر المتلهين وغيره، فهذه الرؤية الفلسفية
التي تبناها فيها الكثير من المخالفة للتوحيد الإلهي، كما صرح القرآن الكريم،
وكذلك في أحاديث أهل العصمة عليهم السلام، بل يرى قدس سره أن الذات المقدسة علة
غير اقتضائية؛ بمعنى ليس فيها شروط العلة الاقتضائية؛ كالمقتضي والتماس
وعدم المانع، بمعنى هو سمي الله علة، بمعنى هو علة العلل بفعله، أو هو علة سماه
كذلك تأدباً؛ حتى لا يقال: الله ليس العلة للإيجاد.

أما المعنى الآخر للعلة كما عند المدرسة المتعالية فقد رفضه كما في هذا
الكتاب مراراً، منها قوله في ص ١٤٧: «ففعله هو العلة التامة للمعلولات،
والذات منزّه عن كل شيء، فهو علة العلل»، ويقول في شأن الاقتضاء في
ص ١٩٤: «اقتضاء ذاته تعبير؛ لأن ما يكون وجوده باقتضاء فحادث مسبوق
بالاقتضاء المسبوق. مثله، والله -جل شأنه- موجد الاقتضاء والإيجاد، فهو علة
العلل...».

إذن نخلص إلى نتيجة هي أن الله علة غير اقتضائية؛ بمعنى أن هذه العلة لا
تسانخ المعلول، ولا ترتبط به بحال، فجهة الارتباط لا تكون إلّا بين ممكنين
حتماً، كما هو صريح القرآن.

إذن الله علة بمعنى أن مسبب الأسباب، لا أنها خرجت من ذاته كخروج
النبته من البذرة، فهذا عين الولادة المنفية. بحكم القرآن الكريم في سورة
الإخلاص، حيث قال سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

ويقول في الرسالة العلمية «مخطوط» بشكل صريح ص ١٠: «والذات إنما

أنيس السمرء وسمير الجلساء، في حديث طويل منه : (وأما المعاني فنحن معانيه، وظاهرة فيكم، اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمور عبادته)^(١) .

→...

سميت علة لاتصافها بالعلية اتصافاً فعلياً، فالذات علة للمعلولات من حيث أثره وصفته، فلا تكون الذات علة اقتضائية؛ إذ ليس في ذاته تعالى من حيث ذاته اقتضاء لشيء، وإلاً لكان الاقتضاء ذاته؛ لحكم البساطة الصرفة، التي لا تتركب فيها لا عيناً ولا اعتباراً» .

ويقول في نفس المصدر : «فالقدم ذات العلة، والعلة والمعلولية كلاهما في رتبة الحدوث»، ومن أراد التفصيل فليراجع هذا المصدر الذي نقلنا منه [. هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القرشي] .

(١) قال مولانا محمد بن علي الباقر عليه السلام : (يا جابر عليك بالبيان والمعاني .

قال : قلت : وما البيان والمعاني ؟ .

فقال عليه السلام : أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً .

وأما المعاني؛ فنحن معانيه، ونحن جنبه، ويده ولسانه، وأمره وحكمه، وكلمته وعلمه وحقه، إذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده .

نحن المثاني التي أعطى الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب الخلق، ثم أن علينا حسابهم [مشارك أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٣٦، فصل :

١٦٣، قول الباقر عليه السلام، لجابر : عليك بالبيان والمعاني] .

فنور الذات هو الحجاب الأعظم، الذي ليس لله حجاب أعظم منه، وهو التعين الأول، ومقام أحببت أن عرف^(١)، فافهم^(٢) .

قوله عليه السلام : (أنا أنا)؛ أي : أنا الواحد المنفرد في واحدتي فلا أعرف لواصف، ولا أدرك لعارف؛ لأني صفة من لا يوصف ولا يدرك، قد انطوت الوحدات في وحدتي الحقيقية، وانمحت الكثرات في صفة ذاتي العلية، فهذا مقام البطون، وذلك مقام الظهور .

وقوله : (أنا ذات الذوات، والذات في الذوات للذات)؛ أي : حقيقة الحقائق، والحقيقة في الكائنات لذات واجب الوجود، فأنا صفة الذات، ومجمع الأسماء والصفات، ومظهر تلك التعينات، فكل الأسماء والصفات الحادثة صفاتي، وأنا كلمة الله العليا، وشجرة طوبى وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، كما أشار إليه علي عليه السلام في خطبته التي أولها (الحمد لله مدهر الدهور، وقاضي الأمور، ومالك نواصي حتم المقادير - إلى قوله عليه السلام - : أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فنحن أصول العلم، فلعن الله السالف والتالف والفسقة، أنا باب المقام وحجة الخصام، ودابة الأرض، فاصل القضي، وصاحب العصي، وسدرة المنتهى، وسفينة النجاة، من ركبها نجي، ومن تخلف عنها هوى، لم يكن

(١) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

(٢) فافهم غير موجودة «ن-ج» .

الدعائم من أطراف الأكناف، ولا من أعمدة فسطاط السحاب الأعلى كواهل أنوارنا، فنحن العمل، ومحبتنا الثواب، وولايتنا فصل الخطاب، ونحن حجة الحجاب، فبأي ألاء الله تتخذون نجاةً^(١)، هذا الذي أردناه منها .

قوله عليه السلام : فقال عرفت ؟ .

فقال : فأمسك؛ يعني أنه لما تجلّى الباطن للظاهر، وحصل له الشهود الحضورى، الذي هو مقام عين اليقين، أخبر بأنه قد عرف ربه وحقيقته، حين عرف نفسه .

فأجابه : باطنه؛ بأنك قد وصلت واتصلت، ولكن بقي عليك شيء؛ وهو الإمساك عن الخطاب، أما ظاهراً فإن من عرف ووصل وجب عليه كتم السر المكنون، لبني العقول عن إدراك هذا المنال، ولزوم الحرج وضيق المجال، ما دام متعلقاً بأحوال هذه الدار .

وأما باطناً فالمراد به أن الخطاب حجاب الاتصال، فلا تتصل كمال الاتصال إلّا بعد قطع علائقك بالكلية، وترك نفسك من البين، لعدم تحقق اثنين، لتكون في مقام الجمع، وقبل الإمساك المقالي والحالي، فأنت في مقام الفرق، إذ حقيقة الجمع هو الإمساك عن تحقق اثنينية، وعدم الشعور بها، ولهذا أجاب ظاهره لما عرف مراده من قوله: (نعم؛ أي : عرفت)، لأن المعرفة مقام الشهود لا مقام الاتحاد .

فقال : فامسك؛ أي : امثل ذلك بالمعنيين المذكورين، وهذا لا يصح إلا لصاحب الجامعة، كما أشرت إليه مراراً، فافهم .

[المراد من السلطنة]

قوله : «برق لاح، ونسيم فاح، يا هذا ما لم تذق لذة السلطنة، لا يأتي منك سلطان؛ لأن هذا الأمر لا تكفي فيه المعرفة بدون الوجدان، ولا يكفي الوجدان بدون فقدانه كل الفقدان، انظر إلى الملك في سكرته، ثم ذق حالته في مملكته، ثم سر سيره في موكبه، ثم أقل بعد ذلك على مركبه، وهذا طلسم من حلّه أحل محله، فلا تشتغل بهذا ولا بذاك، فما ثم شيء سواك» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أنه أراد بالسلطنة الملك لما في جميع الوجود^(١)، وذلك لا يحصل إلا بعد الكون في حضرة العين والاتحاد الحقيقي، وإلا فما دمت في مقام الكثرة، فأنت مبعد عن السلطنة والملك، بل أنت مملوك مدبر، ليس لك تصرف في شيء، بل لا يقدر على ملك نفسك؛ لأن زمامها بيد غيرك، كما أخبر سبحانه عن نبيه ﷺ في مقام العبودية، بقوله : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢)، فإذا قتلته بسيف المعرفة، ودفعته في رمس اليقين، قامت بنفخ صور الشهود حية تسعى، فتجليبت بجلباب

(١) الملك لجميع ما في الوجود في «ن-ج» .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٨٨ .

الأنوار، وتحلت بصفات الكمال المنسوبة إلى غيرها؛ لأنها في مقام الفرق، فلا يمكنها حينئذٍ إظهار آثار الكمالات بالذات، وإذا استقرت في حضرة العين، وقامت في مقام الاتحاد، أمكن أن يأتي منها سلطان، وظهرت منها الأسرار، وتحققت بظهور الآثار لذاتها، فتكون كل الكمالات كمالاتها، والأسماء والصفات أسماؤها وصفاتها .

[المعرفة العلمية والوصول إلى المطلوب]

وقوله : «لأن هذا الأمر ... إلخ»؛ يريد أن المعرفة العلمية لا توصل إلى المطلوب؛ لأنها حجاب بين المحب والمحبوب، فما لم تدرك بالوجدان الذي هو المشهود فلست بعارف، وإنما أنت واصف فلم تدرك إلّا الاسم، ولم تقع على غير الرسم .

وأما إذا كنت في مقام الشهود، فقد وجدت ما طلبت؛ لأنه ليس ثمة إلّا عابد ومعبود، ولا يكفي أيضاً هذا الشهود في ظهور الآثار، بل لا بد أن تفقد نفسك، فلا تشهد لك مشهداً، ولا ترى شاهداً ومشهوداً، فتكون أنت ذلك المعبود .

قوله : «انظر ... إلخ»؛ يعني أنك إن أردت الوصول، فاترك مقام الأين والكثرة، وانظر إلى الملك في دار مملكته، حال شهودك في تلك الحضرة، وذق حالته في مملكته، واسكر بلذة القرب منه، ثم سر سيره في موكبه، فإنك إذا صحوت من هذا السكر، باتصالك بالمطلوب، سرت سيره، وعملت عمله، وتصرفت تصرفه، واتصفت بما هو له وهو لك، فإذا اتصلت بالمحبوب، وكنت أنت الطالب والمطلوب، فقد

علوت على مركب وجدانيته، وكنت قد حللت هذا الطلسم بنفي الاسم والرسم، فصرت أنت هو بلا أنت، وهو أنت^(١) بلا هو، فلا تشتغل بمعرفة الحضور الشهودي، والاتحاد الوجودي، فما ثم غيرك؛ لأن العين عينك، وليس شيء سواك هذا .

واعلم أن كل ما ذكره يسقى بماء واحد أجاج، كما قال عائشة: (عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض)^(٢)، وقد بينت^(٣) مراراً أن الذات متوحد متفرد، لا يعرف ولا يوصف، ولا يناله الاسم، فكلما سمي أو أطلق عليه لفظ أو قُصِدَ بنعت فغيره، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما مقام الجامعة ومظهر التعين، فمتحد لا يمكن تعدده، ومدعيه ملحد، ومنكره كافر؛ لأنه قد أنكر التوحيد، فراجع ما سبق تعرفه من مطاوي كلامنا، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله : «خمر رائق، ونسر عابق، استوى العالم كلهم في الوجودية، وافترقوا في معرفة وجودهم، استوت طائفة منهم في ذلك في معرفة أنهم موجودون، وافترقوا في معرفة وجوده وجدهم .

(١) وهو أنت غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) تقدم تخرجه في الصفحة رقم (٤٨) من هذا الكتاب .

(٣) بينته في «ن-ج» .

واستوت طائفة في معرفة موجدتهم، واftرقوا في معرفة الإيمان به وبرسله^(١) .

واستوت طائفة في معرفة الإيمان به وبرسله، واftقرت في العمل بمقتضى ما جاءت به الرسل .

واستوت طائفة منهم في العمل بذلك المقتضى، واftرقوا في معرفة ما خوطبوا به من حقيقة التوحيد على ألسنة الرسل .

واستوت طائفة منهم في تلك المعرفة، واftرقوا في تمييزها .

واستوت طائفة في التمييز، واftرقوا في قبولها ذوقاً .

واستوت طائفة منهم في القبول، واftرقوا في شهودها عيناً .

واستوت طائفة منهم في الشهود، واftرقوا في وجودها حالاً .

واستوت طائفة منهم في الوجود، واftرقوا في اللذة الحاصلة بحكم وجود ذلك الحال .

واستوت طائفة منهم في اللذة، واftرقوا في القوة بظهور الآثار في هياكلهم .

واستوت طائفة منهم في ظهور الآثار، واftرقوا في الاتساع، وفوق كل ذي علم عليم» .

(١) الإيمان برسله في «ن-ج» .

[مراتب الوجود]

أقول : اعلم وفقك الله أن الوجود له مراتب^(١)، وجود حق؛ وهو الواجب لذاته - جل اسمه - الذي لا يوصف^(٢) ولا يكيف، ولا يدرك له كيف إلا إنه الثابت بذاته، الذي أثبت كل شيء كرمه وجوده، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

ووجود مطلق؛ وهو حقيقي الوجود، لا الوجود الحق، بل الوجود الحقيقي، وهو^(٣) منشأ كل موجود؛ لأنه فعل الله، وهو بسيط من كل جهة، إلا جهة الفعلية التي هي الظهور، فلا كثرة فيه، ولذا سمي بالمطلق؛ أي : الذي لم يقيد بماهية، إذ الماهية هي التقيد اللازم للوجود، التي يلزمها الأحكام من التقدم والتأخر، والوضع والهيئة، والوقت والمكان والرتبة .

فالمقيد لازمه الماهية؛ لأنها هي حقيقة التقيد .

(١) يقصد مولانا الشيخ علي نقوي **تَدْرُكُ** أن الوجود له مراتب؛ بمعنى أنواع، وإلا فهو لا يؤمن بأن الوجود له مراتب تشكيكية كما في الفلسفة المتعالية وغيرها، فوجود المخلوق عنده مختلف تماماً عن وجود الحق سبحانه، لذلك قال : «وهو حقيقي الوجود لا الوجود الحق»، نعم يؤمن بالتشكيكية في مراتب الوجود المخلوق نفسه، كما سيشرح هو لاحقاً، فافهم بارك الله فيك . [تمت هذه التعليقة بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي] .

(٢) يوصف غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) هو غير موجودة في «ن-ج» .

فالوجود المطلق هو الوجود الصرف الخالص من شوب الكثرة، إذ لا ماهية له، فهو فعل الله، والماهية الإنفعال للفعل؛ لأن كون الشيء منفعلاً متميز متشخص بالإنفعال .

ووجود مقيد بالماهيات، لتركبه منها، لقبوله الإنفعال بعد وقع الفعل عليه، فهذا الذي تلزمه الأحكام السابقة، فكان لذلك مقولاً بالتشكيك قرباً وبعداً، وقوة وضعفاً، وإن كان كل مراتبه متساوية في الوجودية، إلا أن وجود المعدن أبعد من الفيض، وأضعف قوة واستعداداً بالنسبة إلى النبات، والنبات بالنسبة إلى الحيوان، وهكذا إلى مرتبة الجامع، وكل مرتبة متساوية في الوجودية بالنوع .

وإنما اختلف بالشخص على حسب اختلاف قابليتها، ففيها أطيب وأعذب، وأقوى وأكثر وجوداً .

فالعالم استووا في الوجودية، واختلفوا في معرفة وجودهم بدء وعوداً.

فقال طائفة : أنهم غير موجودين بوجود سابق، مستند إلى الغير، وأهم غير عائدين؛ إذا لا مبدأ لهم إلا أنفسهم، فلم يعرفوا كيف وجودهم، بل قالوا : إنهم كالنبات في الأرض، تذهب وتجيء أبداً لا انقطاع لذلك .

واستوت طائفة في معرفة وجودهم؛ بمعنى أنهم موجودون مستندون إلى موجد، لأن وجودهم حادث، فيكون له محدث سابق عليه، واختلفوا في ذلك .

فقال طائفة منهم : أنه العناصر واختلفوا، فذهبت طائفة أنه العنصر الترابي؛ لأن جميع الحيوانات من التراب نشأت وإليه تعود، وهؤلاء أضعفهم عقلاً، وأقلهم تصوراً، وربما رجعوا إلى الفرقة الأولى. وقالت طائفة : أنه العنصر المائي؛ لأنه الذي به حياة العالم، وبه قوامهم، وهو ذكر العنصر الترابي، والفاعل فيه، وبه الحل والعقد .

وقالت طائفة : أنه العنصر الهوائي؛ لأنه أقوى من العنصرين، وفيه حياة الحيوانات، ويجرى مادة الحياة بالتنفس .

وقالت طائفة : أنه العنصر الناري؛ لأنه أقوى العناصر فعلاً، وأشرفها درجة، وأعلاها رتبة، وأشدّها لطافة، فمبنى الحياة على الحرارة الغريزية، وصورتها الوجود، فهي أصل الوجود، وهؤلاء المجوس^(١) .

وذهبت طائفة إلى أنه الطبائع الأربع؛ لأن العالم مركب منها، وعبرة الأصل أولى من الفرع، وهم الطبيعيون .

وذهبت طائفة إلى أنه الكواكب؛ لأن الطبائع أثر الكواكب، فالأولى عبارة الكواكب السبعة؛ لأن كلاً منها مستقل بنفسه، مؤثر في الوجود، وهم الفلاسفة .

(١) المجوس هم : «أتباع النبي زرادشت الموحد، لكنهم حرفوا دينه وقالوا : بأصلين للوجود، إله الخير وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة، مع أن النور والظلمة مخلوقتان لله» . [معجم الكلام، ص ٣٤٧، حرف : الميم، رقم : ٣١].

وذهبت طائفة إلى أنه النور والظلمة، وهم الثنوية^(١).
 وذهبت طائفة أنه الدهر، فلم يعبدوا شيئاً زعماً بأن العبادة لا
 تفيد، وإنما الدهر لما يقتضيه مجبول من حيث فطرته، فما ثم إلا الأرحام
 تدفع، والأرض تبلع، وهؤلاء هم الملاحدة، وهم الدهريون^(٢).
 وذهبت طائفة أنه الصورة، فعبدوا الأوثان.

واعلم أن كل هؤلاء متفقون في التصور، وإنما اختلفوا في
 التصديق، فأخطأوا فيه، حتى قيل : أنهم عبدوا الحق من حيث
 مظاهره، فاختلّفوا في أحوالهم لاختلاف آثار الأسماء والصفات،
 فاختلاف العبادة لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات.

فالمجوس عبدوه من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مغيبة
 لجميع المراتب، والأسماء والصفات، كذلك النار، فإنها أقوى
 الاستقصات وأعلاها، فإنها مغيبة لجميع مراتب الطبائع المحاذية، لا
 يقاربها طبعه إلا ويستحيل للنار لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقاربها
 اسم ولا صفة، إلا ويندرج فيها ويضمحل، فلهذه اللطيفة عبدوا النار،

(١) الثنوية هم : «أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان
 قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا : بحدوث العلم». [الملل والنحل،
 ص ١١٥، الفصل : الثاني].

(٢) الدهرية : «قوم يقولون : لا رب ولا جنة ولا نار، ويقولون : ما يهلكنا إلا
 الدهر، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تشييت». [بهاش الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧١٠].

زاعمين أن حقيقتها ذاته .

والطبيعيون عبدوه من حيث صفاته؛ لأن الأوصاف الإلهية أصل بناء^(١) الوجود التي هي الحياة، والعلم والإرادة والقدرة .

فالرطوبة مظهر الحياة، والبرودة مظهر العلم، والحرارة مظهر الإرادة، واليبوسة مظهر القدرة .

فالطبائع مظهر الأوصاف في عالم الأكوان .

والفلاسفة إنما عبدوه من حيث أسمائه تعالى؛ لأن الكواكب مظاهر أسمائه، فزحل مظهر الواحدية؛ لاحاطته بالأفلاك .

والمشتري مظهر الرب؛ لأنه المربي، وهو أسعد الأفلاك .

[والمريخ مظهر القدرة والقهر؛ لأنه المختص بالأفعال القهرية .

والشمس مظهر اسمه الرحمان؛ لأن كل الكواكب تستمد

منه]^(٢)، واسمه الرحمان تستمد منه جميع الأسماء .

والزهرة مظهر الإرادة والتفصيل؛ لأنها سريعة التقلب في نفسها،

ولها في كل قلب حكم كالإرادة .

وعطارد مظهر العلم؛ لأنه الكاتب في السماء .

والقمر مظهر الحياة .

والثنوية^(٣) عبدوه من حيث نفسه، زاعمين أن ذاته مجمع

(١) بناء غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٣٩) من هذا الكتاب .

الأضداد، فهي تشمل المراتب الحقية الإلهية^(١)، فظاهر في الوصفين بالحكمين، فما كان منهم منسوباً إلى الحقيقة الإلهية في النور، وما كان منسوباً إلى الحقيقة الخلقية، فهو عبارة عن الظلمة، فعبدوا هذين الأصلين لهذا السر الإلهي، على زعمهم الجامع للوصفين .

والدهرية^(٢) عبده من حيث الهوية؛ لأن هويته لا تدرك ولا تنتهي، وما ورد من النهي عن سب الدهر، كما قال ﷺ : (لا تسبو الدهر فإن الدهر هو الله)^(٣) .

فالمراد به أن الدهر اسم لله كما في الدعاء : (يا دهر يا ديهور) .

وإن الدهر في اعتقاد الساب هو الفاعل، فيسب الفاعل، ولا فاعل إلا الله تعالى، فيكون قد سب الله، وهو مورد النهي .
وبالجملة؛ لم تبق ذرة من ذرات أنواع الوجود، إلا وقد عُبِدَت من دون الله تعالى، إما عبادة ظاهرة، أو عبادة باطنة، فلو أن أحداً رَجى شيئاً، أو خافه أو حسنه من حيث نفس ذلك الشيء، فقد عبده من دون الله في تلك الجهة، وقد ورد : (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق

(١) الحقية والخلقية في «ن-ج» .

(٢) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٣٩) من هذا الكتاب .

(٣) بهامش تهذيب الكمال، ج ٢، ص ٥٩ .

عن الشيطان فقد عبد الشيطان^(١)، وقال سبحانه : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) .

واستوت طائفة في معرفة موجدهم وأنه الحق تعالى، وأنه ليس من سنخ الأشياء، ولا مماثل ولا مشابه، ولا منافر ولا مضاد، قديم أزلي، والأزل ذاته .

واختلفوا في معرفة الإيمان برسله، فنفته طائفة وهم البراهمة^(٣)، فهم يعبدون الله لا من حيث نبي ولا رسول، بل قالوا : لا حاجة لنا بالرسول؛ لأن الخلق متساون في الحاجة إلى الفاعل المختار، فلا بد أن يكون الحكيم لكمال كرمه، مفيضاً لكل أحد ما يحتاج إليه من إصلاح شؤونه وأحواله، ليتم بذلك كرمه، وعليه يعترف بنعم مولاه إليه .

(١) فروع الكافي، ج ٦، ص ٤٣٤، ح ٢٤، باب : الغناء . الفصول المهمة في أصل الأئمة عليهم السلام، ج ١، ص ٥٢٦، ح ٥، باب : ١٤ . وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٢٧، ح ٩، باب : ١٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٦ .

(٣) البراهمة هم : «قوم يسكنون الهند، تنسب إلى براهما؛ أي : اسم الله تعالى في اللغة السنسكريتية، ينكرون الرسالة، ويعتقدون وحدة الوجود، والتناسخ، وتقديس البقر ورمه لحمها، وحرق الموتى، ولهم عدة أصنام، وكتابها المقدس الفيدا» . [انظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٣٢٠ . موسوعة الأديان والمذاهب، ج ١، ص ٥٣ . قاموس المذاهب والأديان، ص ٥٠] .

ولما كان سبحانه كريماً لا ييخل، وقادراً لا يعجز، وحكيماً لا يعبث، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١)، فعلم الخلق طرق الهداية، وجعل فيهم الهادين إليه، والدالين عليه منهم، لتكمل حجته [في] تلك العقول.

وأما قصور بعض العقول وضعفها، فإن التمدن الذي جبله الله تعالى في طبائعهم، والارتباط الذي بينهم مكمل لذلك القصور والنقصان .

وهؤلاء يزعمون أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام، وأن عندهم كتبه من نفسه لا من عند الله، وهي خمسة أجزاء، فهم ييحبون قراءة أربعة لكل أحد .

وأما الجزء الخامس فإنهم يكتمونونه لا عن الأحاد منهم لبعده غوره، ويزعمون أن من قرأه وعرفه لا بد أن يؤل أمره إلى الإسلام، ثم أن كثيراً من الناس يتزيا بزيهم، فيعبد الأوثان، وهو ليس منهم، وأكثر ما يوجدون ببلاد الهند .

واستوت طائفة في معرفة الإيمان به وبرسله، وهذه أمة الإجابة، واختلفوا في العمل بمقتضى ما جاءت به الرسل، فبعض أنكر وكفر بعد الإيمان، ولم يصدق وإن كان مقراً .

واستوت طائفة في العمل، وهذه تسمى أمة التصديق ظاهراً،

واختلفوا في معرفة ما خوطبوا به من حقيقة التوحيد، فبعض قال بالحلل، فنثت طائفة وأفردت أخرى .

وبعض قال بالاتحاد، فافردت هذه الطائفة بعد ثبوت الاتينية، وبعض قال بالوحدة، وأن الحق كل الأشياء، وكل هؤلاء كفار، وإنما غطوا التوحيد وكفروا به، وانكروه من حيث^(١) لا يشعرون، ﴿وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢) .

وطائفة قالت : بحقيقة التوحيد؛ بأنه الواحد الفرد، المنزه عن الحلل والاتحاد، والمقدس عن مجانسة الأنداد، ومخالفة الأضداد^(٣)، ومشاركة العباد، ولا يعرفه أحد إلا هو، وجوده ذاته، وذاته عينه، وكل ما سواه فهو أثر فعله، وصفة من صفات أفعاله .

فهؤلاء هم المؤمنون بالله ورسوله ﷺ، الموحدون كما أمروا، والشاهدون بما عرفوا على حسب معرفتهم، واختلاف قابلياتهم، وافترقوا في تمييزها، فبعض لم يعرف بالشهود والذوق، ولا بالدليل العقلي، ولكن ثبتت له المعرفة ونسي الموقف، حين قال الله : (أ لست بربكم)^(٤)، وسيدكرها بعد فأقر وسلم، واعترف وصدق .

(١) حيث غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٠٤ .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «النند المشابه في الصفات، وال ضد المخالف في الذات» . [منه قُتِلُ] .

(٤) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٨، في معنى الآية : ١٧١ من سورة الأعراف .

بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦٨، ح ٢، باب : ٦ .

وبعض عرف التمييز العقلي، والدليل الآثاري، فميز الحق عن الخلق عن معرفة علمية، وأدلة تعقلية، ولكنه لم يذق المعرفة؛ يعني لم يصل إلى حد اليقين، بل قد ترد عليه الشكوك والشبهات، وإن كان ثابتاً لم يغيره ما يرد عليه .

وبعض حصل له علم اليقين، ولم يصل إلى حد المعرفة العيانية، المعبر عنها بعين اليقين، فهو في توحيده موحد عن كثرة، وهذا أدنى مقامات العارفين .

وبعض شهدا عياناً، فحصل في مقام عين اليقين، فوجد المطلوب قريباً، ليس إلّا عابد ومعبود، فهذا في توحيده موحد عن وحدة .

وافترقت طائفة في وجودها حالاً، فبعض لم يجدها، وبعض وجدها حالاً، وهو مقام حق اليقين، وهذا توحيده عن وجود لا عن^(١) توحيد وتمييز وفصل، بل وجد المحب حبياً، فلم يكن إلّا الرب المتعالي؛ لأنه فقد نفسه عند هذا المشهد، فلم يتحقق عابد ومعبود، بل ليس إلّا الحق .

وافترقت هذه الطائفة في اللذة الحاصلة بحكم الوجود، فبعض لم يجد اللذة الكاملة بالاتصال؛ لأن له حالات يكون فيها في مقام الفرق، فصاحب هذا المقام إنما يحصل في مقام وجوده بالخطرات، لعدم ثباته في هذه الرتبة، فلا تحصل له اللذة .

(١) عن غير موجودة في «ن-ج» .

وبعض حصلت له هذه اللذة، وذلك في مقام الفناء المطلق .
وافترقت طائفة في القوة، بظهور الآثار في هياكلهم، وانفعال
الأشياء لهم .

واستوت طائفة في ذلك^(١) وافترقوا في الاتساع، وهو مقام
الجامعية الكبرى لا سواه، فصاحب الجامعية بجميع هذه المراتب،
باعتبار مظاهره، وهي المعرفة والمشاهدة والحال؛ أعني الاتصال
بالمطلوب، ورؤية المحب عين المحبوب، واللذة بالاتصال، والاتحاد
بالمعنى المراد، فكل مقام حجاب لما فوقه، وهكذا إلى حجاب التجلي
الأعظم، وهو حجاب الذات لا حجاب ورائه، فكل الحجب لهذا
الحجاب، والحق منزّه عن كل شيء .

فالحجب الكلية أربعة؛ حجب الأكوان، وحجب الأفعال،
وحجب الأسماء، وحجب الصفات .

فالصفات حجب الذات، والأسماء حجب الصفات، والأفعال
حجب الأسماء، والأكوان حجب الأفعال، هكذا مصطلحهم في
الحجب^(٢) .

والذي تعطيه الشواهد الآثارية، والدلائل العقلية النقليّة، أن

(١) في ذلك غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «لأن الصفات الذاتية عندهم غير الذات،

وأما معادن قائمة بها» . [منه قَدْ تُثَلِّثُ] .

الأكوان حجب الأسماء، والأسماء حجب الصفات، والصفات حجب الفعل، إذ ليس غير الفعل وقبله إلَّا الذات، فهو حجاب الذات؛ لأن الذات ليس له أسماء وصفات تنسب إليه، وتضاف إضاف ذاتية، بل كل ما يضاف وينسب إليه، فهو لفعله وظهوره؛ لأنه العلة لكل معلول، كما قال علي عليه السلام : (علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)، ففعله هو العلة التامة للمعلولات، والذات منزّه عن كل شيء؛ فهو علة العلل^(١) .

وأما الأسماء والصفات الذاتية، فهي الذات بلا اعتبار ولا تكثر ما، وإنما التعبير تفهيم كما أسلفناه، ونذكره بعد إن شاء الله، والله أعلم .

[أقسام الفقر]

قوله : «خاطر سنج، فتمادت به المنح، أوقات الفقير في الفقر الحقيقي، أعز وأعلا من الكدر والصفاء، إذ الشأن الإلهي خارج عن أحكام الأطوار البشرية، فمن غيرته الحوادث بالصفاء والكدر، فليس من الفقر بشيء، لا أعني بهذا التغيّر تغير الجسماني بالذبول والطاروة، ولا التقلب بتغاير الألوان، بل أريد بذلك التغيّر القلبي، المنزل للروح من أفقه العلي الأعلى إلى الحضيض والأزهد الديني الأدنى، والله الموفق

(١) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب لمفهوم

المؤلف رحمته الله عن كون الله علة العلل .

لا عارف به غيره» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن الفقر على ثلاثة أقسام؛ فقر إلى الخلق، وفقر إلى الخالق والخلق معاً، وفقر إلى الخالق، كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : (الفقر فخري وبه أفتخر)^(١)، وقال ﷺ : (الفقر سواد الوجه في الدارين)^(٢)، وقال ﷺ : (كاد الفقر أن يكون كفراً)^(٣) .

وسئل زين العابدين عليه السلام عن الفرق بين الفقر الذي أشار إليه جده رسول الله ﷺ ؟ .

فقال عليه السلام : (الفقر في اللغة الاحتياج، وهو على ثلاثة أنواع؛ احتياج إلى الله سبحانه، واحتياج إلى الخلق، واحتياج إليهما، فالأول إشارة إلى الأول، والثاني إلى الثاني، والثالث إلى الثالث) .

فالفقر إلى الخلق سواد الوجه في الدنيا والآخرة، وهو الكفر؛ لأنه كفر الحق، وثبوت الخلق، فلا يرى الله، ولا يشبته عنده، فحاجته

(١) تقدم تخرجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٢) عوالي اللآلي، ج ١، ص ٤٠، ح ٤١ . كشف الخفاء، ج ٢، ص ٨٧، ح ١٨٣٧ .

(٣) أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٢٢، ح ٤، باب : الحسد . الخصال، ص ١١، ح ٤٠ .

عوالي اللآلي، ج ١، ص ٤٠، ح ٤٠ . وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٦٦،

ح ٤، باب : ٥٥ .

إلى نفسه، فهو لا يستند إلى الموجود الحق الواحد بالذات، ولا يعتمد عليه، قد أنكر صنعه وتصرفه في ملكه، وادعاه لنفسه، وأنكره أيضاً إذ أنكر صنعه وفعله، وادعى استقلالاً لنفسه .

وأما الفقر إلى الخالق والخلق، فقارب صاحبه أن يكون كافراً كالأول؛ لأنه إذا لاحظ غير الله وجعله شريكاً، فقد كان مشركاً بالله، فهو إذا استند إلى الله، ورجع إليه كان مؤمناً .

وإذا استند إلى الله بالغير، لا من حيث جهة الوساطة التي أمر بها، فهو شرك باطن .

وإذا استند إلى الله مع غيره؛ فهو الشرك الظاهر .
فصاحب هذا أبداً متردد بين الكفر الباطن، والإيمان والشرك، فافهم.

وأما الفقر إلى الله؛ فهو الفقر إلى الله الحقيقي في الاستناد والاعتماد، لا يعرف إلا الله، ولا يعتمد على غيره، إذ لا غيره متحقق عنده، ولا يعبد سواه عبادة وعبودية .

فإذا كان العبد هكذا، كان فقره وحاجته غناً، فلا يتغير ولا يتبدل، بل يحب جميع ما يطراء عليه من البلايا والمحن، والقتل والضرب، والسب والصلب، فهو يعلم أن كل ما يجري عليه محبة لله له، وزيادة في مقامه؛ لأنه انكشف له الغطاء، فشاهد أسرار الغيب، واطلع على حقيقة الأمر، فأحب ما وقع لكونه الأصلح له، وقد ورد في الحديث : (لو كشف الغطاء لما اخترت إلا الواقع)؛ لأنه أصلح

لكم، فكما يجري عليكم فهو منكم، ومن نسبكم وإضافاتكم، وما سألتموه وطلبتموه باختياركم، قال تعالى : ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١)؛ يعني أعطيناهم سؤالهم وطلبتهم، وما هو موافق لهم على مقتضى الحكمة، فمن غيرته هذه المحن فليس من الفقر الحقيقي بشيء؛ لأنه لحظ مع الله غيره، ولم يرض بقضائه، فلم يشهد الحق حقاً، إذ لو شهد وعرفه لم يلحظ غيره بكل اعتبار، بل وجهه وجهته إليه سبحانه، حتى أنه روي أن نبياً شكى إلى الله من بلاء أصابه، فأوحى الله إليه ما معناه : (أتشكوني ولست أهلاً للشكوى، تريد أن أغير الدنيا لأجلك، أو أمحو اللوح المحفوظ من أجلك، وعزتي وجلالي لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى، لسلبتك ثوب النبوة ولا أبالي؛ لأنك حينئذ لست من الفقر إليّ بشيء، الذي هو مرتبة الأنبياء والأولياء، فيلزمك ألا تكون نبياً؛ لأنك غير متصف بصفات الأنبياء، ولا مجبول على ما جبلوا عليه، ولا متحمل لما تحملوا) .

واعلم أن التغير الجسماني بطرق الآلام والبلايا من الذبول، والتغير في الألوان لا يضر ولا يחדش في الفقر الحقيقي؛ لأن هذا التغير لا يكون عن عدم الرضا، بل من لوازم الأجسام، بل هو تسبيح وعبادة بالنسبة إليها، فإذا وافق العبادة الروحية؛ أعني الرضا بالقضاء

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٧١ .

والقدر، فقد رجع إلى ربه راضياً مرضياً، وعبد الله سبحانه بجميع مشاعره، وقام بحقيقة عبادته وعبوديته، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١).

[مراتب الفقر]

إذا عرفت هذا فاعلم أن الفقر الحقيقي له مراتب، أدناها ما قلناه، وفوقها أن لا يتغير ظاهره بالآلام أيضاً؛ يعني أن لا يجد ألم الضرب، والمرض والقتل كمثّل باطنه، بل يلتذ ظاهره بالآلام والمصائب، التذاذاً بشرياً طبيعياً؛ لغلبة ظهور النور عليه، فإذا جاع لا تدعوه نفسه إلى الأكل والشرب، كذلك حال العطش، وإنما يفعل ذلك امتثالاً للأمر، وليقوى على فعل ما أمر به من الطاعات، وليتمكن من العبادات، بخلاف أهل المرتبة السابقة؛ فإنهم يتألمون بالآلام، وأهل هذه المرتبة فلا .

وقد روي أن أصحاب مولانا الحسين عليه السلام - [وعلى قاتليه اللعن من الملك العلام]^(٢) - أدركوا هذا المشهد بمشهد كربلاء .

وأعلى المراتب أن لا يدرك لذة، ولا سقماً، ولا اعتبار له من نفسه، ولا يشهد له اعتباراً، وهذه المرتبة تحصل لأولي العزم^(٣)،

(١) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب» .

(٣) قال مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام : (إنما سمي أولو العزم أولي العزم؛ لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح

والأنبياء عليهم السلام حال التجلي الروحي، وهي رتبة الجامع لجميع المراتب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يظهر مخالفاً لذلك، فلأسباب وأغراض يعرفها العرفاء، وقد أومت إلى ذلك الأخبار في مواضع متكررة، يعرفها أهلها، فافهم إن كنت أهلاً لذلك، وإلا فحظك التسليم فإنه سلم يعرج فيه الطالبون، والإنكار حجاب واستكبار .

[الرجاء والخوف والفقر الحقيقي]

قوله : «نور لمع، وفجر سطع، فقلب آمن، وقلب جزع، لا بد للعارف من العبور من منزلي الرجاء والخوف، فإنهما قيدان يمنعانك

→...

عليه السلام كان على شريعته ومنهجه، وتابعاً لكتابه إلى زمان إبراهيم الخليل عليه السلام، وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهجه، وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى عليه السلام، وكل نبي كان في زمن موسى عليه السلام وبعده كان على شريعة موسى ومنهجه، وتابعاً لكتابه؛ أي : أيام عيسى عليه السلام، وكل نبي كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان على منهج عيسى وشريعته، وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعد نبينا أو أتى بعد القرآن بكتاب قدمه مباح لكل من سمع ذلك منه) . [علل الشرائع، ج ١، ص ١٤٩، ح ٢، باب : ١٠١ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٨٦، ح ١٣، باب : ٣٢] .

عن التحقق بالحقائق الإلهية، التي هي محققة لك - اسم مفعول - فإن كنت ممن يطراء عليه الخوف والرجاء وقتاً ما، أو لفعل ما، أو لشهود أمر ما، فلست من الفقر بشيء، وكذلك إن كنت ترجوا أمراً ما، مما يتعلق بالفتح عليك من أمر الله في الحقيقة، أو من أمر الدنيا والآخرة، أو بما يختص بك مما وعدت به بواسطة، أو بغير واسطة، فأنت مشرك مبعد، ليس لك في الحقيقة قدم، والعارف عندنا من لا يتغير بوجه من الوجوه، حتى^(١) لو قدر عليه ذبح ألف ولي لله، أو لو أعطي القطبية لما فرح، أو لو وعد بالغوثية لما رجا، إذ كل متغير ليس من الفقر على أصل، فافهم» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن هنا^(٢) مرتب على الفصل الذي قبله؛ لأن العارف لا يكون عارفاً حقيقاً، حتى يكون فقيراً حقيقاً إلى الله تعالى، وإلا فهو واصف غير عارف، بل كالذي ﴿يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣) .

فإذا كان عارفاً لا بد أن يكون عابراً عن مقام الرجاء والخوف، إلى منزل الفرح والسرور باللقاء، ثم إلى منزل الفناء والبقاء .

ومنزل الخوف على قسمين؛ القسم الأول : مقام البوار، وهو بعيد عن الله تعالى أبداً متأصلاً؛ لأنه في مقام المعصية، فإذا فعل طاعة

(١) حتى غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) هنا غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٧١ .

ظاهرة لأجل خوفه، لم يكن مطيعاً، بل هو عاصٍ مجبور على صورة الطاعة، فهذا إنما يعبد الله خوف سطوته الظاهرة، وغلبته القاهرة له، كما أخبر -جل شأنه- عن حال المنافقين بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾^(٢) .

وهؤلاء أصحاب النار، ولم يكونوا مقصودين هنا بالبحث .

وأما من عبده خوف عذابه، وانتقامه وعدله، فإنه أيضاً بعيد عن الحضرة العلية، لكنه أقرب من الأول، ويرجى به^(٣) الفضل من الله تعالى؛ لأنه عبده عن معرفة، فأقرّ له بالعبودية، واعترف بقدرته وقوته، وأذعن له بالعبادة، وعلم أنه صائر إلى أمره -جل اسمه- فهو يعبده من حيث العبودية، لا من حيث الربوبية .

وأما من عبده رجاء لما عنده، لم يكن مطيعاً حقيقياً، بل هو مستأجر، فلو علم عدم حصول الأجر لما فعل .

والرجاء أيضاً قسمان، فإن كان رجاء لما في العاجل من مال وولد وجاه، فهو من القسم الأول من قسمي الخوف .

وإن كان رجاء في الأجل من ثواب، ودخول دار رضاه، والمقام

(١) سورة النساء، الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٤ .

(٣) له في «ن-ب» .

في جواده، فهو بعيد عن حضرة الأنس، ومشاهدة الحضور؛ أعني الحضرة العلية، بل هو مرتكس في حضائر الشهوات النفسانية، متجلبب بجلباب الأطماع، مبعد عن مقام الحضور والأسماع^(١)، ولذا قال علي عليه السلام: (ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)^(٢).

وهذه هي العبادة الخالصة لوجه الله الكريم، التي أشار إليها سبحانه بقوله: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾^(٣).

واعلم أن الخوف غير الخشية؛ لأن الخشية ليست خوف العقاب، بل هيئة تحصل للقلب انكسارية وخضوع، عند تصور عظمة الله، فمن تجلّى له بعظمة خشيته، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤).

[وفي الدعاء: (لا علم إلّا خشيتك، ولا حكم إلّا الإيمان، ليس لمن يخشك علم، ولا لمن لم يؤمن بك حكم)^(٥)]^(٦).

(١) الاستماع في «ن-ج».

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٧) من هذا الكتاب.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٣٦٠، ح ٦٩.

(٦) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج».

وأما الخوف هيبه^(١) تحصل للعبد عند تجلي الحق للعبد بصفة الانتقام.

قوله : «فإنهما قيدان -إلى قوله- اسم مفعول»، تقدمت الإشارة إليه، فإن الحقائق الإلهية، لا تكون متحققة لك ما دمت في هذين المنزليين.

قوله : «فإن كنت ممن يطراء... إلخ»؛ يعني أن الفقر الحقيقي هو أن يكون منمحقاً في حقيقة وجوده من الله، عن تحققه في نفسه في كل حالاته، فلو طراء عليه الرجاء أو الخوف وقتاً ما، أو لشهود ما، أو لفعل ما، فليس من الفقر بشيء، وكأنه أراد بالفقر الحقيقي الجامع، ولهذا قال ﷺ : **(الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين)**^(٢)، وإلاً فلا ريب أن الأنبياء تحصل لهم هذه الحالة حالاً ما في كل الأحوال، كما أسلفناه سابقاً .

قوله : «كذلك إن كنت ترجو... إلخ»، كسابقه إلّا إنه أخص في الموضوع؛ يعني أنه لو كان رجاءه في الله أن يوصله إلى معرفته، فطلب الوصول احتكار على الله، وهو شرك باطن؛ لأنه لم يكن في مقام الفناء هذا مراده، ولذا قال : «والعارف عندنا... إلخ»، فإنه إذا قدر عليه ذبح ألف نبي لم يتغير؛ لأنه وافق ما في علم الله وإرادته، فلو زنى أو قتل أو سرق، لزمه الثواب والعقاب .

(١) الخوف هيبه غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

أما العقاب فلمخالفة الأمر الظاهر، فعقابه منقطع .
 وأما ثوابه فإنه استحق ذلك؛ لأنه إنما فعل^(١) ليوافق ما في علم الله وإرادته، فلا يخاف لفعله شيئاً، وقد ذكر هذا المعنى في الإنسان الكامل .

قوله : «ولو أعطي القطبية... إلخ»؛ يريد أنه لو كان القطب الذي يقوم به الوجود لما فرح بذلك؛ لعدم تحققه في نفسه لنفسه، ولو وعد بالغوثية؛ بأن يكون هو الغوث الذي يرجى، ويشفع لما رجا .
 واعلم أن هذا باطل في صورة حق، والحق أن العبد عبد أبداً لا يكون رباً في حال ما .

والفناء الذي يحصل له في مقام وجوده؛ أعني حقيقته لا مع الذات البحث - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .

فهو في مقام العبودية، وإن ترقى إلى مقام ربوبيته، فإنها عبودية للحق - جل اسمه - فكمال العبودية أن يتساوى فيه جناحاً الرجاء والخوف، فإذا اعتدلاً طار إلى الله في سلسلة الطول، وإذا لم يعتدلاً لم يطرء، بل يبقى مقيداً بأحدهما؛ أي : الذي غلب عليه من الخوف والرجاء، فلا يزال العبد طائراً صاعداً إلى الله، لا إلى غاية ولا نهاية، كما في الحديث : (وليس لمحبي غاية ولا نهاية)^(٢)، كل ذلك في صفته .

(١) فعل غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣١) من هذا الكتاب .

والذات متعال عن الدرك والإحاطة، إذ لو كان له غاية يصلها
الواصلون، ويدركها الطالبون، لكان متناهيًا محدثًا .
فالعارف أبداً بين الرجاء والخوف، وكلما كمل كان أشد
خوفاً، وأشد رجاء، وقد نقل : (إن إلياس عليه السلام لما سأل الله في
سجوده أوحى الله إليه ارفع رأسك فإني لا أعذبك .

فقال : أرأيت إن قلت : لا أعذبك ثم عذبتني أأست
عبدك^(١)، فهو يعلم أن وعده الحق، ولا يخلف وعده، ولكنه لشدة

(١) عن الفضل بن عمر قال : أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه،
فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا
لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت : أصلحك الله أتيناك
نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه
بالسريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك؟ .

فقال : (نعم ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت
: كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا
قساً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به، ثم فسر له بالعربية، فقال : كان
يقول في سجوده : أترك معذبي وقد أظمأت لك هواجري، أترك معذبي
وقد عفرت لك في التراب وجهي، أترك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي،
أترك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟ .

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك .
قال : فقال : إن قلت : لا أعذبك ثم عذبتني ماذا؟ أأست عبدك وأنت
ربي؟ .

خوفه من مقام ربه، لا خوف عقابه، كما أخبر سبحانه بقوله :
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، يخافه .

فالأولياء نهاية رجائهم القرب من الله، وغاية خوفهم البعد عن الله، كما قال علي عليه السلام : (فهني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي، صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك، وهني صبرت على حر نارك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك)^(٢)، فهو أبداً يخشاه، ولا يحكم عليه بحال، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٣) .

وقوله : «لو قدر عليه ذبح ألف ولي لله»، مبني على مذهبه؛ من أن العبد غير مختار، وأن الإرادة إرادة حتم وعزم، وهو باطل، وقد برهن عليه في مواضعه، بالأدلة العقلية والآثار؛ من القرآن والأخبار، وإنما تركناه خوف التطويل .

→...

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، إني إذا وعدت وعداً وفيت به) . [أصول الكافي، ج ١، ص ٢٥٤، ح ٢، باب : أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ﷻ وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها] .

(١) سورة النازعات، الآية : ٤٠ .

(٢) مصباح المتهجد، ص ٨٤٧ . إقبال الأعمال الحسنة، ج ٣، ص ٣٣٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٦٢ .

وقد بين ذلك والدي^(١) - أبقى الله مهجته - في عدة من رسائله، خصوصاً في شرح رسالة القضاء والقدر^(٢)، للسيد شريف، وفي شرح رسالة الهادي عليه السلام لأهل الأهواز فلتطلب هناك .

[اعود على بدء في أقسام الوجود]

قوله : «شمس ظهرت، في أفلاك بهرت، اعلم أن الوجود كله

(١) هو : «الشيخ أحمد بن زين الدين، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شموخ آل صقر، القرشي الأحسائي المطيري».

وُلِدَ تَدْتُ فِي الْمَطِيرِي مِنْ قَرْى الْأَحْسَاءِ، فِي شَهْرِ رَجَبِ عَامِ: «١١٦٦هـ»، وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده الشيخ زين الدين، وبانت عليه علامات النبوغ منذ نعومة أظفاره، فكان يذكر ما جرى في بلاده من الحوادث، وعمره سنتان، وختم القرآن وعمره خمس سنين، وبدأ بدراسة النحو قبل أن يبلغ الحلم، له عدة كتب أهمها وأشهرها : شرح الزيارة الجامعة، وشرح الفوائد، وشرح العرشية، وشرح المشاعر، توفي وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام، وكان بصحبته ولده الشيخ علي، والشيخ عبد الله، وبقية عائلته، وبصحبه أيضاً بعض تلامذته وأصحابه وغيرهم، وفي الطريق أصيب بمرض، فتوفي تَدْتُ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : «هدية» قُرب المدينة المنورة، وكان ذلك ليلة الجمعة أو يوم الأحد «٢٢ ذو القعدة ١٢٤١هـ»، ومادة تاريخه مختار .

ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة فجهزه بنحله الشيخ علي نقى وصلى عليه، ثم دفن في بقيع الغرقد، مجاوراً لقبور الأئمة عليهم السلام، في الطرف المقابل لبيت الأحزان . ومن أراد الكثير من ترجمته فاليراجع كتابه شرح العرشية .

(٢) لقد تم طباعة هذه الرسالة في سنة «١٤٢٦هـ» .

شيء واحد، وذلك هي واحدة الحق تعالى، فالحق هو الوجود المطلق، ومن هنا يتجلى عليك سبحانه في كل موجود؛ لأن الوجود من حيث هو وجود لازم لكل الموجود، بل هو عينه، إذ لا فرق بين الوجود والموجود إلّا في الفهوانية، وعلى الحقيقة هو عينه، فالحق عين كل شيء، وهو الواحد على تعدد الأشياء، وما أحسن قول القائل :

وما الوجه إلّا واحد غير أنه

إذا أنت عدت المراتب تعدداً بدأ

فالجهات الست تحسب أنه سواها

ولو لا الوجه لم يبدأ ما بدأ

فمتى لم تعرف الوجود بهذه المعرفة، لم يتجلى عليك الحق فيها، وبقيت وراء حجب الأكوان، ومتى ما لم تعرف الحق وتشهده في الوجود كله، بل في الموجودات، بل في كل معنى وصورة وحكم، وروح وجسم، إلى غير ذلك مما تعلم وتشهد، لم تعرف نفسك، ومتى لم تعرف نفسك لم تعرف ربك، فمعرفة الوجود أنه للحق، كالصورة للمعنى، أو كالجسم للروح، شهدت المراد، فإنك إذا شهدت أن الوجود مظهر، والحق ظاهر فيه، تترقى إلى شهود الحق تعالى نفسه بنفسه في مظاهره، وبهذا الشهود ترتقي إلى وجوده فيك لك بك عنك، وبهذا^(١) الوجود تعرف نفسك بالإلهية الكبرى،

(١) ولهذا في «ن-ج» .

فتتجلى صفاتك من باطنك إلى ظاهرك، وبهذا التجلي تعرف ربك، الذي هو عين نفسك، فتكون ممن عرف نفسه بأنه ربه، فاعرف ربك بأنه نفسه .

وبهذه المعرفة تعطى كل صفة من صفاتك في الإلهية حقها، حال كونها متحققة بسائر الأسماء الكمالية، والصفات الجمالية والجلالية^(١)، والمراتب الحقية والخلقية، وبهذا التحقق تنفرد في وجودك لك، فتتجلى بذلك في ذاتك بالتجلي الذاتي، ثم تخاطب نفسك بنفسك، ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٢)، فتجيبك وحدانيتك ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣) .

أقول وبالله التوفيق : إن الوجودات ثلاثة، كما سبقت الإشارة إليه^(٤)؛ الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيد .

فالوجود الحق واحد بالذات والصفات؛ لأنها حقيقة الذات، فلا يقبل التعدد والتكثر لذاته^(٥) ولا لصفاته، إذ هي عين ذاته، وإلا لاختلفت^(٦) جهاته، فهو الواحد الذي وجوده عينه، وحقيقة الوجود الذي لا يشوبه نقص، ولا يقع فيه لبس، ولا حد له ولا رسم، إذ لا

(١) والجلالية غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٤) راجع الصفحة رقم (١٣٦) من هذا الكتاب .

(٥) لذاته غير موجودة في «ن-ج» .

(٦) لاختلف في «ن-ج» .

حيثية فيه، ولا مفهومية له، فهو حقيقة الوجود؛ لأن حقيقة الوجود ما يكون وجوده واجباً لذاته، بلا اعتبار ولا استناد لشيء أزلي قدسم، والأزل ذاته، والقدم عينه .

فالوجود الأزل لا يحل في الوجود الحادث، ولا يحله الحادث، ولا تعلق له به إلّا تعلق تكوين^(١)، هو نفس الحدوث، فهو في أزله قبل الإيجاد، ليس ثمة في وجوده غيره، إذ وجوده عينه، لا أن وجوده غيره، وليس أزله ظرفه، بل هو حقيقة الأزل، فليس^(٢) ذا خلاء فتحله الممكنات، ولا ذا فرج فتحلله الكائنات قبل الإيجاد، وكذا بعده (كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان، لم يتغير بانتقال، ولم يسبق له حال حالاً)^(٣) .

فلا يصح أن يكون وجوده واجب الوجود لذاته عين كل شيء، وإلّا لكان كل شيء واجب الوجود لذاته، حتى المشخصات الخارجية، والأعراض اللازمة والفارقة، أو النسب والإضافات، وإلّا لم يكن عين كل شيء، فإذا لا يكون الوجود بموجبه شيئاً واحداً هي واحدته تعالى، بمعنى نسبة الموجودات إلى الوجود نسبة حقيقية، أو تأصلها فيه

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «أعني بالتعلق النسبة؛ أي : لا نسبة بينهما من جميع النسب إلّا نسبة الإنفعال» . [منه تَدُلُّ] .

(٢) الأزل فليس غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) قال رسول الله ﷺ : (كان الله ولا شيء معه، وكذلك الآن) . [هامش عوالي اللآلي، ج ١، ص ٥٥] .

تأصلاً ذاتياً؛ لأنه يلزم منه إما أن يكون وجود الحق غير بسيط الحقيقة، كما قالوا ولو باعتبار ما، أو يكون الوجود أعم من حقيقة واجب الوجود لذاته، فيحتاج إلى مميز، فلا يكون صرف حقيقة الوجود، وهم لا يقولون به، على أنه لو لم يكن صرف حقيقة الوجود، للزم استناده إلى صرف حقيقة الوجود؛ لأنه مبدأ كل موجود، وإلا لم يكن موجوداً أصلاً، ولا يصح أن يكون واجب الوجود أعم من حقيقة الوجود؛ لأن تحقق كل شيء بوجوده، إذ غير الوجود إنما يكون ثابتاً متحققاً بالوجود، فهو تعالى حقيقة كل ذي حقيقة؛ بمعنى الذي حقق الحقائق، وليس له حقيقة غير وجوده الذي هو حقيقة الوجود وإلا لكان مركباً، فلا يكون حقيقي الوجود، فيجب استناده إلى صرف حقيقة الوجود .

فوجود الحق حق الوجود، فليس مشتركاً مع غيره في وجوده، فلم يكن بعضاً للوجودات، ولا الوجودات بعضه، بل وجوده نفسه لا باشتراك، لأن كل ما سواه إنما هو صفته، وهو علة لصفته، والصفة لا تكون من سنخ الموصوف، والمعلول لا يكون من جنس العلة، فلم يكن في وجوده غيره فيصح أن يكون عينه، وليس ثمة شيء هو عينه فيصح أن يبرز عنه، فيكون في الظهور غيره؛ لأن الأزل لا يكون حدثاً بكل اعتبار، فكل ما سواه فهو فعله، وأثر صنعه، وتحليلات ظهوره، وليس الفعل عين الفاعل، ولا الأثر عين المؤثر بحال، وإلا لم يكن فعل قائم بنفسه، ولا أثر متحقق من حيث ظهوره .

فإذا كان حقيقة الوجود الذي لا يشوبه غيره هو الحق -جل اسمه- فإطلاق اسم الوجود على غيره مجاز، من باب إطلاق اسم العلة على المعلول، وإطلاق اسم الموصوف على الصفة، فكلما أطلق عليه اسم الوجود غيره تعالى فهو مجاز ذي الحقيقة، لا باعتبار الاصطلاح فقط، بل أنه إنما استحق الوجودية فكان موجوداً، لنسبته لذي الحقيقة، فوجوده تابع لوجود حقيقة الوجود، لا بمعنى أنه جزؤه أو جزئيه، وإلّا لانتفت الوحدة عن ذاته؛ لأن وحدته ليست بنوعية ولا جنسية، ولا وحدة الانبساط والشمول، وإلّا للزمته الكثرة بوجه ما ولو من حيث التعلق، ولأنها كلها صفات خلق ولا شخصية، وإلّا للزمته الحدود، نعم وحدة شمول، والإحاطة صفة فعله، وهي الوحدة الحقيقية .

وأما وحدة الذات، فهي الوحدة الحقية، فلا تكيف ولا تعرف، وإنما حظنا نفي اللوازم عنها والملازمات، وهو موجب لعدم دركها ومعرفتها، فافهم .

واعلم أن كل بسيط حقيقة شيء يلزمه شموله له بالحق -جل اسمه- ليس بسيط حقيقة شيء سوى ذاته، بل قولنا : بسيط الحقيقة لا يجري عليه ، فراجع ما سبق يتبين لك الأمر .

وأما الوجود المطلق الذي هو عالم الأمر، فشموله لسائر الموجودات شمول إحاطة وقيومية، ليس كشمول الكلي، ولا الكل، ولا الجنس، ولا النوع، ولا انبساط، مما يقتضي وجوداً جزءاً، أو

جزئيات، أو عروض أو معروضية، لأن ذلك يقتضي نفي الوحدة الحقيقية، لثبوت الكثرة ولو باعتبار ما .

فشموله على ضرب من الشمول، يعرفه أفراد العرفاء، وهو حقيقة الشمول؛ أعني شمول إفاضة، وتحقق أثر، وإحاطة قيومية، وكل ما سواه فشموله لما تحته، إنما هو باعتبار ظهوره، ووجوده في أفراد، وانقسامه إليها أو إنبساطه عليها، وكل هذا نفي حقيقة الشمول .

وأما الوجود المقيد فشموله لسائر الموجودات شمول إنبساط، فهو صرف حقيقة الموجودات المقيدة .

إذا عرفت هذا شهدت الحق حقاً ظاهراً بفعله وأثره في الخلق، والخلق خلقاً، ليس بينهما اتصال مشابهة وارتباط، ولا انفعال مباينة، ولا علاقة مشتركة لهما في أصل الوجود، بل وجود قائم بنفسه قبل الخلق؛ لأنه نفسه ومعلوله أثر صنعه كما سبق .

والشواهد الآثارية ناطقة بذلك، فإن الشمس قائمة بنفسها، ووجودها ثابت لها في رتبها قبل ظهور أشعتها، وكذا بعد بروز أشعتها.

ولا ريب أن أشعتها ليست من جنسها ولا من سنخها، ولا متصلة بها اتصالاً حقيقياً؛ لأن الاتصال الحقيقي لا يكون إلّا بين شيئين؛ من جوهر واحد ولو في الجنس، ولا منفصلة عنها انفصالاً حقيقياً؛ لأن الانفصال الحقيقي لا يكون إلّا بين جوهرين متباينين، والتباين جهة امتناع تنافي جهة الاقتضاء، وأيضاً ليس وجودها قبل

ظهور أشعتها، زائداً عليها في رتبها حتى يكون شاملاً لغيرها، وإنما غيرها إيجادها وأثرها، وكذلك صفاتك من قيام وقعود، وأكل وشرب، وحركة وسكون، كلها صفات أفعال، ليس وجودها من سنخ وجودك، وإنما هي أثرك وفعلك، وكل ما في الوجود شاهد على أن الله سبحانه ليس مشابهاً لخلقه في الذات، ولا خلقه مشابه له، ولا مخالف له في الصفات، ولا من جنسه؛ لأن الأثر لا يخالف صفة مؤثره، قال تعالى : ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

وتعلم أن كل مؤثر محيط بآثاره إحاطة قیومية، وشمول إضافية، وأنه ظاهره بالأثر نفسه لا بذاته، فيشهد أثره فيه به لا بالمؤثر، وهذا هو الشهود الحق، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٢)، وما سواه فباطل، نعوذ بالله من زلل القدم، وسبات العقل، وسأين لك الفناء الحق بتجلي الحق سبحانه للخلق، فاعلم أنه سبحانه إنما يتجلى لخلقه بصفة من صفاته، التي هي حقيقة المتجلى له، إذ هو معنى التجلي، فلا يدرك المتجلى إلّا ما منه، ولا يظهر له إلّا^(٣) به، فكل مدرك لك إنما تدركه

(١) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة النحل، الآية : ٦٠ .

(٣) إلّا غير موجودة في «ن-ج» .

بما منه لا بغيره، بل والشيء إنما يدرك نفسه بصفتها، فالحق - جل اسمه - غيب لا يقع عليه الإدراك بحال، فهو الوجود الحق، والمجهول المطلق .

وأما المعرفة فواقعة على الصفات، فإذا تجلى لك فإنما يتجلى بك، إذ التجلي حجاب بين المتجلي والمتجلى له، ولا يمكن الفناء والوصول إلّا بعد التجلي، ونفس التجلي ظهوره في صفة من صفاته؛ أعني حقيقة المتجلى له، كما قال علي عليه السلام: (تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها)^(١)، فإذا تجلى لك بك، يكون فناؤك في تلك الصفة المتجلي بها، التي هي حقيقتك، والمربية لك، وبها قوامك، وإليها معادك، فحينئذ تنال كل صفة من صفتك، من الإلهية ما تستحقه بحسب قابليتك، فتخاطب بمن (عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢)، حين ألقى في هويتك مثاله؛ أعني الصورة الإنسانية، والهيكل الذي بناه بيده، فتكون ممن شهد نفسه بأنه ربه، وربه بأنه نفسه .

إذا تحققت ما قلت لك، تبين لك أن للحق - عز اسمه - تجليات بعدد أنفاس الخلائق، وكلها حجب بينه وبين خلقه، ولا يخترق هذه الحجب إلّا صاحب البرزخية، فإن له الفناء المطلق الذي هو مقام الجامعة الكبرى، فهو الوجه الباقي بعد فناء كل شيء، والظاهر لكل

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

شيء، والمتجلي في كل شيء، وذلك هو الإلهية الكبرى، التي هي مجمع الصفات الجمالية والجلالية، والأسماء الكمالية، ففي هذا التجلي الكامل يخاطب نفسه لنفسه، ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(١)، فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢).

وهذا التجلي الصفاتي، لا التجلي الذاتي؛ لأن التجلي الذاتي لا كيف له، ولا عبارة عنه، ولا يصح إطلاقه عليه كما سبقت الإشارة إليه، فيصح في مقام التجلي الصفاتي الكامل التمثيل بقوله :

وما الوجه إلّا واحد غير أنه
إذا أنت عددت المرايا تعدداً بدأ
فالجهات الست تحسب أنه سواها
ولو لا الوجه لم يبدأ
فالخلق يتجلى في الوجه التجلي الكامل، ولسائر الموجودات بالتقابل، إذ ليس للخلق إلى الحق إلّا جهة واحدة؛ هي نفس مبدأ الفيض، فكل الموجودات متوجهة إلى تلك الجهة، قال الله تعالى :
﴿فَأَيْنَمَا تُؤْلُواْ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٣).

(١) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١١٥ .

فكل من يدعي الفناء الكامل، غير صاحب الجامعة فهو جاهل، قد ضرب بينه وبين المعرفة بألف ألف حجاب، فذهب في عماء يخبط خبط عشواء، وربما يظن من وقف على عبارات أبرزها من خيالات فاسدة، أنهم قد وصلوا إلى مرتبة الفناء المطلق، وأين الثريا من يد المتناول، بل ذلك حقيقة الإلحاد، الذي نهي الله عنه بقوله : ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وهو ظاهر لمن استنار قلبه بضياء المعرفة.

[الموجود المطلق]

وأما الوجود المطلق؛ فهو العلة للموجودات، المعبر عنه بعالم الأمر، والنفس الرحمانى، السارى في جميع الممكنات، والرحمة الواسعة، والحق المخلوق، والظاهريّة المطلقة، والأزل^(٢) المستند إلى أزل الآزال، فليس إذاً قائماً بنفسه، بل قائم بموجد؛ لأن تحققه ووجوده بغيره، وليس أيضاً بإيجاده بواسطة غيره، فيكون ذا جهتين، فيحتاج إلى وساطة الجهة .

ولما كان الواحد من كل جهة، لا يبرز عنه إلّا واحد من كل جهة هي جهة البروز، وجب أن يكون واحداً لا جهة فيه، ولا كثرة تلزمه، كذا قيل .

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٨٠ .

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الأزل؛ هو الذي لا أولية له، وأزل الآزال؛ هو الذي يستند إليه كل شيء، ولا يستند إلى شيء» . [منه تدلّ]

وبعض قال متقصياً عن هذا الإشكال، خوفاً من لوازم الجبر، وفراراً من قدم العالم؛ لأن الفاعل إذا كان علة تامة، وهو واحد بالذات، لزم ألا يتخلف المعلول عن علته أزلاً^(١)، فيكون المعلول قديماً في الأزل، فقال : إنما قلنا : إن الواحد من جهة لا يبرز عنه إلّا واحد، كذلك لعدم قدرة البارز؛ لأنه لو كان البارز أكثر من واحد، فلا يخلو إما أن يتحدا رتبة وجهة أو يتخالفا، فإن اتحدا كانا شيئاً واحداً فلا تعدد، وإن اختلفا كان المتقدم رتبة هو البارز الأول .

وأيضاً لو اختلفا في الجهة، لما كان بينهما جهة اتصال، حتى في جهة التضاد والتناقض؛ لأن التضاد والتناقض بينهما جهة وجودية، جامعة بهما، حصل التضاد والتناقض، ولذا لم يكن للحق ضده ولا نقيض؛ لأن المصدر واحد، وتلك الجهة الجامعة هي جهة الصدور الخاصة؛ [أي : ولعدم وجود الجهة الجامعة بين الحق والخلق، لم يكن له ضد ولا نقيض]^(٢) .

وقولي : لأن المصدر واحد، واحد للتقليل لقولي : لأن التضاد والتناقض بينهما جهة وجودية جامعة .

والتضاد والتناقض إنما حصلا من جهة نفس الصادرين، لا من جهة الفاعل .

(١) يتخلف المعلول عن العلة في «ن-ج» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

وأيضاً الإمكان لا يسع إلّا صادراً واحداً، إذ إفاضة الكمال المطلق كاملة شاملة، وإلّا لنقصت الإفاضة، وذلك موجب لنقص المفيض، وليس إلّا وجوب وإمكان، فالوجوب هو القديم، والإمكان [هو] الحدوث، فإذا عجز الإمكان عن شمول صادرين لما قلنا أن الأول قد ملأه ولم يبق ما يصدر فيه صادر آخر لم يكن ذلك عجز في الفاعل، بل الفاعل قادر مختار، وهو حق، لكن الحق الحقيقي عدم صحة اطلاق مثل هذه العبارات على القديم؛ لأنها صفات خلق لا صفات حق، فكل ما يطلق على الخلق لا يجوز وقوعه على الحق إلّا مجازاً وتعبيراً .

فقولهم : الواحد من كل جهة، يلزمه تشخص الجهة، فتكون وحدته شخصية، وهو باطل لما أسلفناه فراجع .

وأيضاً لو كانت الجهة التي عبر عنها بالوحدة من كل جهة شخصية، لما برز عن الفاعل إلّا واحد كذلك، والبارز أيضاً لا يبرز عنه إلّا واحد كذلك وهكذا .

وينتفي التقابل والتضاد، والاختلاف ذواتاً وإعراضاً، وصفات بالضرورة .

فالكثرة والاختلاف لا بد وأن يكون منشؤها كثرة أو وحدة جامعية، وهي وحدة الشمول، والوحدة بمعانيها لا تطلق على الذات، نعم مصدر الأشياء وحدة الشمول والإحاطة، وهي فعله وصنعه فلا جبر، فافهم .

إذا عرفت هذا فاعلم أن العلة للمصنوعات صنعته وفعله تعالى، كما قال علي عليه السلام: (علة ما صنع صنعته، وهو لا علة له) . وقولهم: لا يختلف المعلول عن العلة أزلاً، مغالطة في الحقيقة، مبني على أن الأزل ظرفه تعالى، وأن المعلول إذا لم ينفك عن العلة كانا أزليين، وإن استند إلى العلة، وهو باطل؛ لأن الأزل نفسه، والمعلول هو الحدوث، فلو سلمنا أنهما غير منفكين، إنما يكون ذلك في نفس العلية والمعلولية .

ولا شك أن الفاعل من حيث هو فاعل، لازمه الفعل من حيث الفاعلية لا من حيث الذات، فوجودهما متميزان فلا معية؛ لأن المعية إما أن تكون في الوجود والذات فيتحدان، فلا علة ولا معلول؛ لأن هذا حكم البسائط .

وإما أن يوجد في ظرف واحد فيشملهما فيتكثر، وليس الأزل إلّا ذاته، فلا معية مساوقة في الوجود، وإلّا لما صح الاستناد، نعم معية الظهور ثابتة، وليس الظهور للذات، بل الظهور لفعله، ظهر للأشياء بالأشياء لا به تعالى، كما قال علي عليه السلام: (تجلى لها بها، وبها امتنع منها)^(١) .

والدليل الآثاري شاهد بذلك، وذلك كالصورة في المرآة، وشعاع الشمس من الشمس، والفاعل من الفاعل، فانظر بعين مستبصر منصف .

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

[الموجود المقيد]

وأما الوجود المقيد، فهو ظلال الوجود المطلق، وأثره وصنعه، وهو ذو جهات، وملزوم الأعراض والصفات، فيكون فيه التقدم والتأخر، والغنى والحاجة، والكلية والجزئية، والظاهرية والباطنية؛ لأنها كلها من لوازم الماهية، والماهية قيد هذا الوجود، فهذا هو الوجود المشوب بالنقص المطلق، المعروض للماهية .

واعلم أن عروض الماهية له ليس عروضاً خارجياً، كعروض الألوان للأجسام، فتكون النسبة بينهما ارتباطية، فيلزم تقدم المعروض على العارض خارجاً، وهو محال؛ لعدم تقوم الوجود المقيد في الخارج بدون الماهية، لأن التقييد لهذا الوجود إنما هو الماهية، وإلا لم يكن مقيداً، فلم يكن هو هو .

وأيضاً لا يحصل التمييز بين الموجودات إلا بالماهيات، وإلا لكان ما به الاتفاق به الاختلاف؛ لأن هذا الوجود نسبته إلى سائر أفرادها، نسبة إنبساطية كما قلنا سابقاً .

وأما الماهيات فلا يصح كونها معروضة له كذلك؛ لعدم تحققها بدونه وكيثونتها، بل قبوله لها نفس تحققه في نفسه من حيث هو هو . فالنسبة بينهما اتحادية، فهما شيء واحد في الظهور، بمعنى أنه إن أخذ من حيث نفسه، وتشخصه [من حيث هو هو، لا من حيث استناده لغيره، فهو الماهية التي ما شئت رائحة الوجود، وهي المسماة بالأعيان الثابتة عندهم، فإنها من حيث امتيازها عن الوجود راجعة إلى

العدم^(١)، ومن حيث التعين الوجودي هي عين الوجود إذا أخذ من

(١) مؤلفنا الشيخ علي نقی تَدْتُّرُ يعرض رأيه في الماهية، وهو عينه رأي والده، حيث أكد بأن الماهية مجعولة وأصلية، وهي رغم كونها مجعولة وأصلية غير زائدة على الوجود، بمعنى لا تضاد الوجود حتى يلزم الدور التسلسل، كما تدعي المدرسة المتعالية في طروحاتها، فهي مجعولة مخلوقة بجعل خاص، غير جعل الوجود، كما صرح الله سبحانه في القرآن : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ...﴾، [سورة آل عمران، الآية : ٦] . وفي آية أخرى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا...﴾، [سورة النبأ، الآية : ١٠] .

أما في الحديث الشريف فكما صر مولانا سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له حيث قال : (لا تقل ما هو؛ لأنه خلق الماهية) . [بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩٧، ح ٢٤] .

ولكن هذه الماهية رغم أنها أصلية فوجودها بالوجود، بمعنى أوجدت بالوجود، فهي صفته وانفعاله، ولولا انفعاله لما تحقق في الواقعية، ولكنها من حيث ذاتها، لا وجود مستقل لها دون الوجود، لذلك قال : هي من حيث امتيازها عن الوجود راجعة للعدم، كما قالوا أي : أصحاب المدرسة المتعالية، ولكن رغم كونها لا تستقل عن الوجود إلا أنها موجودة بالوجود، بمعنى مخلوقة منه، كما النّحاة حين يخلق الصورة في الخشبة الخام، فهو لم يأتِ بخشبة زائدة عليها، بل خلق الصورة من الخشبة، فهي كما تشهد حواسنا أي الصورة التي في الخشبة الخام، كانت معدومة، فأوجدتها الصانع النّحاة، لذلك يصح أن نقول : لولا تعلق جعل النّحاة بالصورة لم توجد في الخشبة، وكذلك الصورة قبل جعل النّحاة لم تكن موجودة، بل وجدت بعد الجعل، ورغم ذلك فهي لا تملك وجوداً مستقلاً عن الخشبة، لذلك قال تَدْتُّرُ : «فإنها من حيث امتيازها عن

حيث ربه، منه بدأ وإليه يعود، ومن حيث^(١) نفسه لا شيء، وهو المعني بقول علي عليه السلام: (صحو المعلوم مع محو الموهوم)^(٢).

فإن الشيء من حيث نفسه موهوم لا حقيقة له، فإذا ألبرت الماهية خلعة الوجود بحسب قابليتها، قامت به قيام اتحاد، ورجعت مستضيئة بنور الإيجاد، فهي القابلة للإيجاد؛ لأن تحقق أثر الفاعل لا يبرز إلّا بالقابل.

وليس قولنا: إنها [قابلة للإيجاد، وأنها ألبرت خلعة الوجود، أن العارض للماهية، وأنهما]^(٣) غيران متميزان، بل المراد بالقبول نفس تحقق الشيء بالله، فإذا أخذ من حيث موجد سميناه وجوداً وموجوداً حقيقياً.

ومن حيث نفسه ماهية، ومعدوماً لا مطلقاً؛ بمعنى أنه ليس بشيء، بل بمعنى أنه إنما أوجد بتبعية الوجود بالمعنى السابق، [بمعنى أن الله أوجدها لا لغرض منوط بها، وإنما أوجدها لاحتياج الوجود إليها

→...

الوجود راجعة إلى العدم»، فتدبر جيداً. [هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القرشي].

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج».

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٨) من هذا الكتاب.

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب».

في التقوم، وهذا معنى أوجدها بتبعية الوجود^(١) .

فلكل منهما جعل، لا أن جعل الماهية بتبعية جعل الوجود، لا كما يقوله مشائخ الصوفية^(٢)؛ من أنها غير مجعولة بجعل جاعل، بل هي الحقائق الثابتة، وعالم الغيب، وحضرة الغيب، والعالم الربوبي، لأنها مقتضى الصفات بكيونة الذات على ما هي عليه، فلا هي عينه ولا غيره، علم ذاته بذاته، وعلمها بكيونة ذاته .

وعباراتهم شاهدة بذلك لمن يعرف مرادهم، وهو باطل، إذا تحقق ذلك لديك عرفت أن الوجود هو الذي قامت به الماهيات، فسبق الوجود لها سبقاً ذاتياً حقيقياً، به تحققت، وإليه استندت، فشيئيتها به، وشيئته بالشيء، إذ الوجود المقيد ظل الوجود المطلق .

فالمعية هي معية الظهور لا غير؛ لأن الوجود دائم الاتصال، بل كان به الاتصال في كل الأحوال، ولا يصح أن يكون الوجود عارضاً للماهيات، إذ لو كان كذلك كانت قابلة له، فتكون سابقة عليه، فتححتاج إلى الوجود، وإلا لم تكن، إذ ليس إلا الوجود، فيكون حينئذٍ الوجود سابقاً على الوجود، وهو غير معقول .

وللقوم في هذا المقام مباحث عديدة، تشتمل على قواعد حكمية، ومسائل جدلية، مذكورة في مواضعها .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا

فظهر مما تقدم أن الوجود بالحقيقة، هو صرف حقيقة الوجود، وهو الوجود الحق وما سواه فبتبعية وجوده تعالى^(١)، كان له حظ في الشيئية، (إذ كان الشيء من مشيئته)، كما قال علي عليه السلام^(٢)، واستحق إطلاق الوجود عليه، فافهم .

(١) قال الشيخ علي نقى قدس سره : «إن الوجود بالحقيقة هو صرف حقيقة الوجود، وهو الوجود الحق»، والذي يتبادر إلى الذهن ابتداءً أن مؤلفنا قصد نفس ما عنته المدرسة المتعالية من أن صرف حقيقة الوجود هو واجب الوجود جل الله عن ذلك؛ لأن الفلسفة المتعالية قصدت في مفهومها عن صرف حقيقة الوجود حين أخذك لخصه من الوجود؛ كالشجرة مثلاً وألغيت ماهيتها المميزة لها عن بقية حصص لوجود الأخرى، فليس هناك سوى صرف حقيقة الوجود الذي هو عين وجود واجب الوجود، وهذا مبني على نظرية وحدة الوجود التي يرفضها مؤلفنا، بل قصده من صرف حقيقة الوجود الذي هو وجود الحق، أن الوجود حقيقة بالاستقلال عن غيره، ووجوده قائم بنفسه هو الوجود الحق، وصرف الوجود حقيقة لا غيره، وغيره قائم بفعله قيام صدور، وفعله هو العلة التامة له، كما شرح في الرسالة العلمية «مخطوط» ص ١٠، وفي هذا الكتاب حين تعرض لعله العلل، لذلك غيره لا يستحق أن يكون صرف حقيقة الوجود، وهو في هذا الكتاب ذكر أنواع الوجود بشكل صريح غير قابل للبس، حين ذكر ثلاثة أنواع للوجود : الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيد، وإلاً فهو حتماً لا يؤمن بوحدة الوجود، وفروعها الباطلة الملحدة». [هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي]

(٢) مصباح المتعاهد، ص ٥٢٣، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير .

[العالم محدث بكل الاعتبار]

قوله : «بحر متلاطم، ووبل متراكم، العالم محدث باعتبار ظهوره، وأما باعتبار وجوده في العلم^(١) الإلهي، فإن حكمه حكم الأسماء والصفات الإلهية، فإن حكمت بقدمها ووجودها، فاحكم بقدم العالم ووجوبه، ولم يتحقق للعقلاء علمه إلّا بعد معرفة ثلاث مسائل .

أقول : اعلم - وفقك الله تعالى - بأن العالم محدث بكل اعتبار ومعنى، فليس له في البدء والكون اعتبار إلّا اعتبار هو حدوثه، وكونه المعبر عنه بوجوده، فلا تتحقق له في الأزل، وإلّا لكان قديماً لم يزل في قدمه، فلم يكن حادثاً ولو باعتبار البروز؛ لأن البروز ليس هو الحدوث، وإنما الحدوث حقيقة إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، إذ القديم قديم في شأنه، والحادث حادث في مكانه، فالقديم نفس القدم بلا اعتبار، فلا يكون القديم حادثاً بكل اعتبار، وسيأتي إن شاء الله تمام البحث في شرح المسائل الثلاث، فانظره بعين منصف مستبصر، طالباً للحق، قاطعاً لعلائق التقليد، غير مشوب عقله بأقوال الرجال، تجدها بيضاء صافية، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٢) .

(١) العالم في «ن-ب» .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٧ .

[المسألة الأولى] [في الواجب والقديم]

قوله : «المسألة الأولى : هي أن الله واجب بذاته؛ لأنه يستحيل أن يكون وجوبه بغيره، إذ ذاك الغير لا يخلو^(١) أن يكون واجباً بنفسه، فينقل الكل إليه، أو أن يكون واجباً بغيره^(٢)، فمتى ما كان واجباً بغيره، لزم الدور والتسلسل والإنية، إلى وجوبه بالذات .
فالدور والتسلسل باطلان، والواجب بالذات هو الباري عز اسمه» .

أقول : هذه المسألة الأولى من المسائل الثلاث، أتى بها من باب المقدمة، لانتاج أن العالم قديم كما يزعمه، وإلّا فلا إشكال في قيام الواجب بذاته؛ لأن وجوبه عين ذاته، فالموجود بالحقيقة هو الواجب، والممكن خلافه، فالوجوب كينونة الشيء على ما هو عليه بلا مغايرة ولا اعتبار، إذ الغيرية والاعتبار يستلزمان الاختلاف، وهو مستلزم للاثنينية، المستلزمة للمعية، أو السبقية المشاكلة، وهما يستلزمان الجهة المستلزمة للتحديد، المستلزم للحدوث، المستلزم للوجوب .

فثبوت الواجب واجب الثبوت، هذا على طريق الخصام والجدل، أما بالذوق والكشف فالواجب عين الوجوب الذي هو حقيقة، فيكون مستند كل موجود، وإلّا لا منته وجود كل موجود

(١) لا يخلو غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) بغيره في «ن-ب» .

لرجوع كل موجود ناقص، واستناده إلى الكامل المطلق، الذي لا يشوبه نقص ولا تغير، إذ النقص والتغير فرع ثبوت الإمكان، ولازم الحدث فأزله وجوده، ووجوده عينه، فهو الباطن والظاهر، والظهور أثره، فبالظاهرية يتحقق حكم الظهور، وبالفاعل من حيث هو فاعل يعرف كل مزبور، وإلّا لم توجد الكائنات، ولم تكن الممكنات، فيه تعرف الأشياء؛ لأنه المعرفة فعله وخلقه، ولا يعرف بما صدر عنه؛ لأن كل شيء انمحق بظهوره، وأخفاه نوره، ولا يصح أن يميز بما هو محتاج إليه، إذ كل مستدل عليه بغيره فهو مسبوق ولو بالدلالة، محتاج إلى معرفة [بآلة ولو عقلية، وإشارة معنوية، فيكون إذاً مفتقراً^(١)] إلى ما هو مفتقر إليه، محتاجاً إلى ما هو مستند في وجوده إليه، بل هو الدال على ذاته بذاته، المتنزه عن جميع مخلوقاته، وقد قال علي عليه السلام: (اعرفوا الله بالله)^(٢).

فالله -عز اسمه- أول كل شيء، وسابق على كل شيء، فبمشيئته كانت الأشياء، وبشعاع نوره وجدت الأضواء، فهو الدليل لكل مدلول، والعلة^(٣) لكل معلول، فلا اشتراك له مع غيره ولا اتحاد،

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج».

(٢) أصول الكافي، ج ١، ص ١٠٧، ح ١، باب: أنه لا يعرف إلّا به. بحار الأنوار،

ج ٣، ص ٢٧٠، ح ٧، باب: ١٠.

(٣) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب في مراد

المؤلف تَدُلُّ من كون الله علة.

إذ ليس في وجوده فرج تسع الممكنات، أو خلو^(١) تحله الكائنات، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢)، وما أحسن ما قال في هذا المقام سيد الشهداء عليه السلام: (إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعي إليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدل عليك مما هو مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً)^(٣)، فهذا هو الاستدلال الشهودي، ودليل الحكمة^(٤) المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٥).

[المسألة الثانية]

[في صفات الله وهل أنها لاحقة في الوجوب بذاته]

قوله: «المسألة الثانية: هي أن صفاته لاحقة في الوجوب بذاته؛ لأن الحدوث في الصفات لازم الحدوث في الذات، وذاته ليس بمحل

(١) خلق في «ن-ب» .

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨ .

(٣) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٢٢٥ .

(٤) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣ .

الحوادث، فصفاته قديمة، واجبة بوجوب ذاته .

والدليل على ذلك أنه لا يخلو أن يحتاج في وجود صفاته إلى نفسه أو إلى غيره^(١)، فإن احتاج في وجود صفته إلى غيره كان غير تام الوجود؛ لأن الكامل بغيره يتعلق كماله بذلك الغير، وذلك الغير لا يخلو إما أن يكون واجباً بنفسه وذلك محال، وإما أن يكون متعلق الوجود بوجود من تعلق كمال وجوده بوجوده، فلزم الدور، أو لزم التسلسل إلى ما لا نهاية له وكلاهما محال.

فثبت أنه غير محتاج إلى غيره، فبقي الكلام في أن لو احتاج في وجود صفاته إلى نفسه، وإيجاد الصفات صفة أيضاً، فهي إما أن تكون قديمة، وإما أن تكون محدثة أوجدها، وإيجاد ذلك المحدث أيضاً صفة، إما أن يتسلسل الأفراد ويدور، وكلاهما محال، فثبت أن صفاته واجبة بوجوبه، قديمة بقدمه» .

أقول : اعلم -وفقك الله تعالى- إن هذه المسألة الثانية من المسائل الثلاث أتى بها ليقرر أن الصفات إذا كانت قديمة، واجبة بوجوب ذاته، وأمّا صفات الكامل المطلق، وأن كمالها لا يكون إلّا بمقتضاها، لاستحالة مفهوم العالم بلا معلوم، وكذا سائر الصفات،

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «يريد بالغير نفس الصفات؛ يعني لو احتاج في إيجاد صفاته إليها، فإن كانت واجبة لزم المحال؛ لأنها صفة والصفة نفسها فرع الموصوف» . [منه تَبَيَّنَ] .

وجب قدم العالم؛ لأنه هو مقتضى الأسماء والصفات الإلهية، وهو بعيد عن الحق، فنأتي أولاً بالمعارضة والنقض، ثم بالدليل على أن صفاته عين ذاته بلا اعتبار ولا تكثر، ليحيى الحق ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١).

فاعلم أنه لو قيل : إن صفاته لاحقة في الوجود بذاته، لكان ذلك يقتضي التعدد، كما هو معلوم من مذهبه ومذهب مشاكليه في الأسماء والصفات الإلهية، إذ هي عندهم ليست هو، وليست غيره، فكما لها بوجود مقتضياتها كما يأتي ذكره في آخر عبارته .

فنقول : إن تعدد الصفات كثرة تحتاج في وجودها إلى مبدأ وحدة لا كثرة فيها، هي أصل الكثرة، وتلك الكثرة [إما أن تكون هي هو، أو هي غيره، فإن كانت هو وجب إلّا كثرة، وإلّا لوجب استناده إلى وحدة]^(٢) لا كثرة فيها، وننقل الكلام إلى المستند إليه .

وإن كانت غيره فإما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة تعددت القدماء وهو باطل؛ لأن القديم لا يصح أن يستند إلى غيره؛ لأن معنى القديم الحق هو الذي أول كل شيء، ومبدأ كل شيء، ولا غيره شيء، لا فرضاً ولا وجوداً إلّا به .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية : ٨١] .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

وإن كانت حادثة كان محلاً للحوادث، أو تكون الصفة قائمة من غير موصوف، وكلا الأمرين باطل؛ للزوم الحدوث في الصفات الحدوث في الذات، كما قاله على الأول، وللزوم تحقق الشيء الذي لا شيء له من نفسه، بشيئية نفسه على الثاني، وهما معاً محالان .
وقوله : «فبقي الكلام في أن لو احتاج في وجود صفاته إلى نفسه... إلخ» .

فنقول : إن صفاته إذا كانت قديمة بقدمه، واجبة بوجوبه، لا يخلو إما أن تكون جزئية أو غيره، فإذا كانت جزئية لزمه التركيب اللازم للحدوث، وإن كانت غيره وجب أن تحتاج إلى غيره أو إليه في إيجادها أو قدمها؛ [لأنها إن احتاجت إليه أو إلى غيره في قدمها، لزم أن القديم محتاجاً إلى غيره، والمفروض أن القديم هو الذي لا يستند إلى غيره، وإن احتاجت في إيجادها إليه أو إلى غيره، لزمها الحدوث، والمفروض أنها قديمة هـ] ^(١)، والكل باطل .

وأما الدليل على أن صفاته عين ذاته بلا اعتبار، فنقول : إن وجود صفاته ليس تابعاً لوجوب ذاته بالمعنى الذي أراد، بل وجوب ذاته عين وجوب صفاته، بلا تكثر ولا اعتبار، وليس صفاته غيره بوجه ما؛ لأن عدم العينية باعتبار نفس الغيرية بكل اعتبار؛ لأنه ليس مركباً، فتكون فيه جهتان، والغيرية تستلزم التعدد المستلزم للفرج،

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

المستلزمة للكثرة الغير المتناهية أزلاً، وذلك أنها لو كانت قديمة قائمة بذاته، وهي غيره ولو باعتبار، لكانت غيره بكل اعتبار؛ لأن صرف الوحدة نفي ثبوت الكثرة، ووجود الكثرة فرع ثبوت صرف الوحدة، وإلّا لم تكن كثرة أصلاً، فيلزم أن تكون قديمة مستندة، وهو تناقض ظاهر؛ لأن القديم هو الذي لا يستند إلى الغير، والمستند هو المحدث الذي لا يستقل بنفسه .

وإن كانت هو بكل اعتبار، فلا صفة [وموصوف، فلا أثر لمقتضى صفة، وأثر لمقتضى صفة أخرى، وإلّا لأتى ما قلنا، بل الآثار مقتضى صفة]^(١) تنسب للذات نسبة فعلية، هي مجمع الصفات الآثارية، وكل اقتضاء كما يأتي بعد .

فظهر أن وجوب ذاته عين وجوب صفاته، وصفاته عين ذاته، لا يقال : يلزم كونه محلاً للحوادث؛ لأن هذه الصفة لا تقوم إلّا بموصوف، لأننا نقول : إن هذه الصفة تقوم به قيام صدور لا قيام عروض، والاقتضاءات راجعة إليها، بخلاف لو جعلنا الصفات قديمة والاقتضاءات لها، فإنه يلزم أن يكون محلاً للحوادث على ما قالوه؛ لأن الاقتضاء صفة، فيجب أن تكون قائمة بموصوف وهو قديم، فإن كانت حادثة كان محلاً للحوادث، وإن كان الاقتضاء قديماً فالمقتضي -اسم مفعول- صفة للاقتضاء محدثة، فيأتي ما فروا منه .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

إذا عرفت هذا فالحق أن الحق واحد بالذات، لا تعدد ولا تكثر، ولا صفة وموصوف، فليس قولنا^(١) : عالماً قادراً، سميعاً بصيراً، أنها صفات زائدة على ذاته، أو أن لها مفهوماً وعنواناً غير الذات، بل علمه قدرته، وقدرته سمعه، وسمعه بصره، وبصره ذاته .

فإذا قلنا : عالم قادر إلى غير ذلك، نريد أن له معنى العالمية والقادرية، إذ لا معلمة فلا معلوم، ولا مقدرة فلا مقدور، فلا يصح أن يقال : عالم بعلم، وقادر بقدر، إلى غير ذلك من الصفات الذاتية؛ لأن صفاته ذاته، فلا صفة قائمة بذات الموصوف غير الموصوف حتى يصح التعلق .

ولا نريد أن له معنى العالمية والقادرية، والسمع والبصر أن هذا شيء غيره ولو باعتبار، بل إنما أسماؤه تعبير، وصفاته تفهيم، وكل تعبير وتفهيم مخلوق، فلا قديم إلا الله - عز اسمه -، وصفاته ذاته بلا تكثر ولا اعتبار ولا كيف، فهو الشيء فلا شيء سواه، وليس له إضافة ولا نسبة، إذ هما يقتضيان الغيرية، والغيرية تنافي حقيقة القدم، ولا يلزم مما ذكرناه من نفي مقتضيات الصفات لانتفائها جهل أو عجز أو غير ذلك، إذ الجهل والعجز إنما يكونان عن معلوم مفقود، ومقدور ممتنع، وليس ثمة في الأزل معلوم فيصح الجهل به، ولا مقدور فيصح العجز عنه، إذ لو كان معلوم مقدور لكان قديماً حادثاً .

(١) قولنا غير موجودة في «ن-ب» .

فالعلم لا يتعلق بالمعدومات، والقدرة لا تقع على الممتنعات، وإلّا لكان العدم وجوداً، والممتنع موجوداً، أو تنفك الرابطة، فينتفي التعلق والوقوع، فلا يصح النسبة والاقتضاء الذاتيان كما قالوا؛ لعدم تعلقهما، فمن قال بلزوم الجهل والعجز، فإنما هو قياس على كون العلم فعلياً أو إنفعالياً، وعلمه تعالى ليس فعلياً ولا إنفعالياً^(١)، إذ هما غيران، بل العالم المطلق الذي لا يشوبه جهل بوجه ما، لأن علمه ذاته لا غير، كما قال عليّ عليه السلام ما معناه : (والله حياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، ونور لا ظلمة فيه)^(٢)، فعلمه بالمعلومات نفس المعلومات، فهو في أزله عالم بالمعلومات في حدوثها وأمكنة حدودها، لا أنه عالم بها في الأزل، إذ الأزل عينه لا غير وهو غيره، فلو علمها فيه كانت هي هو، وليس عالماً في الأزل بها في الحدوث؛ بمعنى أن لها حقائق أو صوراً عنده في الأزل؛ لأن الأزل ليس ظرفاً له، بل علمه بها قبل كونها هو علمه بها بعد كونها بلا تغاير ما، بل هو بعد كونها عالم بها قبلها، لا قبلية زمانية، وإلّا لكان قبل غير البعد، فيختلف العلم ولو بالجهة من الأولية والآخرية، فافهم .

(١) وعلمه تعالى ليس فعلياً ولا إنفعالياً غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (إن الله علم لا جهل فيه، وحياة

لا موت فيه، ونور لا ظلمة فيه) . [الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام،

ج ١، ص ٢٢٨، ح ٥، باب : ٣٧ . نور البراهين، ج ١، ص ٣٤٨، ح ١١،

باب : ١٠ في العلم] .

ولقد تاهت في هذا المضمار أراء العلماء، ورجعت خاسئة بعد الطموح أفكار الحكماء، فكل يقيس بمقياسه، ويزن بقسطاسه، فليس للعقول إدراك سوى غاياتها، ولا علم لها إلَّا بنهاياتها، فكل معلوم لها مخلوق حادث، فحظها منه إدراك ثبوت حق لا يوصف، وتثبيت وجود صرف لا يعرف، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(١).

نعم له صفات حادثة، تنسب إليه نسبة فعلية، فيقال : عالم بالمعلومات، وقادر على المقدورات، سميع بالمسموعات، بصير بالمبصرات، وكلها راجعة إلى صفة، وهي مجمع تلك الصفات، ومبدأ تلك التعينات، أما تسمع قول مولانا الباقر عليه السلام : (هل سمي عالماً قادراً إلَّا لما وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين)^(٢).

فكل عبارة وإشارة دلت على مفهوم فهو حادث، وقع على حادث، ولذا قال عليه السلام : (هل سمي)؛ أي : عرف وأطلق عليه الاسم إلَّا بعد التعلق، وهو هو لا يطلق عليه اسم ولا رسم، ولا وصف ولا حد، ولا كيف له؛ لأن هذه كلها حدود للحوادث، فعلمه بالأشياء، وقدرته عليها، وكذا سائر صفاته بالنسبة إنما هو لتلك الصفة، بل عين تلك الصفة بلا تعدد ولا تكثر فيها، ولا

(١) سورة النور، الآية : ٤٠ .

(٢) راجع الرواشح السماوية، ص ١٣٣ .

بارتسام صورة، بل على نحو يعرفه الراسخون في العلم، فهو علم إحاطة، وشمول قدرة؛ لأن الصفة تشبه أثر موصوفها، فليس إلّا الله وخلقه، وليس بينهما ثالث^(١)، ولا معهما شيء آخر، (خلق الله المشيئة بنفسها)، فلا دور ولا تسلسل، (ثم خلق الأشياء بالمشيئة)^(٢)، فلا سببية ولا معية .

ولا يلزم من ذلك جهل؛ لأن فعله إحداثه لا غير، فبحكم الإحداث تنتفي المعلومات فلا جهل؛ لأن المحدث نفسه إحداثه، فلم يكن شيئاً قبل نفسه حتى يصح العلم به، أو الجهل عليه، فراجع ما سبق .

ولا يلزم أن يكون أيضاً محلاً للحوادث، أو تكون الصفة قائمة بدون موصوف؛ لأن الصفات قسمان؛ صفة عروض، وصفة صدور، فمن الأولى يلزم أحد الوجهين، ومن الثانية ينتفي الوجهان، ألا ترى أن الضرب صفة قائمة بالضارب، وهي غير حالة فيه مع أنها قائمة به، فصفاته تعالى كلها صفات صدور لا عروض فيها بحال من الأحوال .

(١) قال مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام في حديث طويل : (... حق وخلق لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما) . [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٩، ح ١، باب : ١٢ . التوحيد، ص ٤١٧، ح ١، باب : ٦٥ . بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٩٩، ح ١، باب : ١٩] .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١١٩) من هذا الكتاب .

وأما صفاته القديمة فليست بصفات عروض ولا صدور، بل هي عينه، ولقد سبق لي كلمات في مراتب التوحيد، فراجع ما سبق^(١)، ولا تذهب بك الأهواء تابعاً للأراء، فتخبط خبط عشواء، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾^(٢).

واعلم أن كل من قال بثبوت الحقائق المتأصلة، والمُثل، أو بوجود الاقتضاء، فإنما يحوم حول هذا المقام، ولكنه لا يدرك ولا يدركه الطالبون، ولا يناله الواصلون، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

ثبت المطلوب ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٤).

[المسألة الثالثة]

[هل صفاته كاملة؟]

قوله : «المسألة الثالثة : هي أن صفاته كانت كاملة أيضاً، لما قلناه من الحدوث فيها، لازم للحدوث في الذات، ولا كمال لوجودها إلّا بوجود مقتضياتها، إذ يستحيل وجود الرازق دون

(١) راجع الصفحة رقم (٢١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة يونس، الآية : ٣٢ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٤) سورة ق، الآية : ٣٧ .

المرزوق، إلى غير ذلك من معاني جميع الأسماء والصفات النسبية، فبالضرورة لا يوجد أحدهما إلّا بوجود الآخر، ولا خلاف في أن الموجودات الخلقية كانت في علم الله موجودة لعدم جهله، وقد كانت صفاته وأسماءه كاملة كما هي الآن، لأن آثارها موجودة في العلم الإلهي، كما أن الأسماء والصفات، بل ذاته إنما كانت موجودة في علمه، إذ لا وجود لغيره، فلما ظهر العالم فقل في العالم ما تقوله في الأسماء والصفات، إن شئت قلت فيها : إن الصفات عينها صدقت، وإن العالم بالحق، والحق بالعالم، وليس الحق بالعالم، وليس العالم بالحق.

وإن شئت قلت : إن العالم قديم بهذا الاعتبار .
وإن شئت قلت : إن العالم محدث باعتبار حكمه الذي يقتضيه لذاته، وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» .

أقول وبالله التوفيق : إن هذه المسألة الثالثة من المسائل الثلاث، وهي آخر ما أراد إيراده؛ لأنها نتيجة لما قبلها، فكانت هي المطلوبة بالذات في هذا المقام، ولأجلها قدم المسألتين من باب المقدمات، لينتج أن العالم قديم، وهي أن الصفات كاملة في القدم، وكل كامل فكماله بمقتضياته، فيكون الصفات كمالها بمقتضياتها أزلاً وهو باطل؛ لأن صغراها قد بينا بطلانها لعدم وجود الصفات متحققة كما يزعم، فليس إلّا ذات بحت لا غير، والكمال لها فرع ثبوتها .

وأما الكبرى فبطالها ضروري، أما في القديم فلا خلاف في ذلك، وأما فيما سواه فغير ثابت في كل أفرادها، فنأتي به أولاً على سبيل المعارضة، فنقول : [لو كانت المقتضيات موجودة في الأزل، لزم كون صفاته محلاً للحوادث، فتكون حادثة ولو في الظهور، لا يقال]^(١) : إنما عنده في الأزل مقتضيات صفاته، وهي صور علمية، وحقائق الأشياء، وهي كما قالوا : كينونة الصفات فليست هو، وليست غيره، فنقول : المواد الجسمانية، والحوادث الزمانية، إن كانت عنده في الأزل أتى ما قلناه، وتلك العندية إن كانت ظرفية امتنع الحدوث، أو الخلو منها حال حدوثها، وإلا أتى الجهل بها حالاً، فلا تكون معلومات له، ولا مفتقرة إليه حال افتقارها، إذ الممكن شأنه الفقر، وإن لم تكن العندية ظرفية، وهي أزلية، تعدد الأزل، والكل محال .

وأيضاً يلزم من كون مقتضياتها موجودة أزلاً وحدثاً أي : كون لها مقتضيات أصلاً، كونها نقيصة لذاتها، إذ النقص احتياج الشيء إلى ما لولاه لانتفى وجوده؛ كالأمر النسبية، وكمالها حينئذٍ مقتضياتها، فيلزم من ذلك افتقار الذات في كمالها الذاتي إلى تلك المقتضيات؛ لأن المفتقر إلى المفتقر إلى الغير مفتقر إلى ذلك الغير، وهو مستلزم للحدوث في الذات .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

لا يقال : إن الذات غير مفتقر إلى الصفات؛ لأننا نقول : إنه يلزم على دعواهم الافتقار إليها، وإلّا للزم عجزه وجهله، أو يأتي ما قلنا كما هو الحق .

وأيضاً الكلام في الصفات غير العلم الموجب لوجود الحوادث الزمانية، في الأزل الممتنع من الحدث، فيلزم اجتماع النقيضين، كالقدرة للمقدورات، والإرادة إن كانت قديمة للمراتبات، وإلّا يلزم عدم وجود المقدورات والمرادات، للقصور في القدرة، وعدم التعلق في الإرادة .

وأما الدليل على أن صفاته لا مقتضى لها؛ لأنها عين الذات بلا تكثر ولا تغير ما، والاقتضاء إنما هو في فعله لا في ذاته، هو أنه كامل لذاته، والكمال له به، فلا يحد بكمال خارج عنه، وإلّا لم يكن كاملاً مطلقاً، والكمال المطلق منزّه عن التكميل عن النقص .

والقديم هو الذي يكون وجوده اقتضاء ذاته، ووجوده كماله لذاته، فوجوده عين ذاته .

وقولي : اقتضاء ذاته تعبير؛ لأن ما يكون وجوده باقتضاء فحادث مسبوق بالاقتضاء المسبوق بمثله، والله - جل شأنه - موجود الاقتضاء والإيجاد، فهو علة العلل^(١)، والقديم الذي لم يزل اخترع

(١) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب لمراد المؤلف
تتمُّ في كون الله علة .

الأشياء لا من شيء سبق، وإلّا لما صح اختراعها وابتداعها لا على مثال، وإلّا لبطل ابتداعه، ولاحتاج في إيجادها لها قبلها، فتكون كائنة قبل تكوينه، متحققة الوجود قبل إيجادهِ وتعيينهِ، فهي مستغنية عنه قبل الإيجاد، وهو محتاج إليها في القبول والاستعداد، فالغنى شأنها، والفقر شأنه، والثبوت عينها، والتنقل عينه، فلم يكن لخلقهِ مخترعاً، ولا لصنعه مبتدعاً، بل إبراز ما بطن وإظهار ما خفي، وحينئذٍ يكون الإبراز والظهور قديماً أزلياً، إذ هو من مقتضياته، فلا ظهور ولا إبراز؛ لأنهما نفس الحدود كما قاله، أو يكون الظهور والإبراز حادثاً، فيحتاج إلى مثله، ويتسلسل ويدور .

وأيضاً لو كانت المفعولات مقتضى صفاته الذاتية، للزم تقدمها على الصفات الفعلية، والحال أن المفعولات أثر الفعل، فيجب تقدم الأثر على المؤثر ولو بوجه ما .

وقوله : «معاني جميع الصفات والأسماء النسبية - إلى قوله - : إلّا بوجود الآخر»، قد تقدم الكلام عليه في شرح المسألة السابقة، بأن النسب والإضافات مخلوقة محدثة، أتى بها للتفهيم والتعبير؛ لمعرفة اللطيف الخبير، فإذا قلنا : عالم قادر، مدرك سميع بصير، فإنما نريد أن له معنى العالمية إذ لا معلوم، والقادرية إذ لا مقدور، والإدراك إذ لا مدرك، والسمع إذ لا مسموع، والبصر إذ لا مبصر، فلا نسب ولا إضافات لذاته، فكل مفهوم وعنوان أو اسم أطلق فإنه لا يقع عليه،

ولا يصل إليه، وكل عبارة لمعنى وإشارة لجهة، فصفة حادثة وقعت على حادث .

نعم هذه النسب والإضافات، وإطلاق الأسماء والصفات، إذا أريد مفهوماً تطلق على صفة حادثة، تنسب إليه لنسبة فعلية كما قلنا سابقاً .

ودعوى الضرورة باطل؛ لأنه قياس على نفسه وأبناء جنسه، فلو تساوت النسبة في الصفات الذاتية، لاقتضى ذلك التساوي في الذات أو المشابهة، فافهم .

وقوله : «لا خلاف في أن الموجودات الخلقية، كانت في علم الله موجودة لعدم جهله»، دليل على جهله؛ إذ العلم علمان، وقد مر الكلام مستوفاً فيه .

وقوله : «إن شئت قلت كذا، وإن شئت قلت كذا... إلخ»، تمويج في العبارة، وقول بلا استنارة، مبني على قدم العالم في العلم الإلهي، فراجع ما سبق، وإياك والعاجلة والخطل، ثبتنا الله وإياك من الخطأ والزلل .

وهذا آخر ما أردته في شرح توحيد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني^(١)، وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه؛ علي نقى بن أحمد بن زين الدين الهجري، ضحى الجمعة آخر شهر جمادى الآخر،

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (١٨) من هذا الكتاب .

سنة الرابعة والعشرين والمائتين والألف «١٢٢٤هـ» في بلد يزد،
حرسها الله من طوراق الزمان، بمحمد وآله، حامداً مصلياً مستغفراً .

فهرس الآيات الكريمة

رقمها	الصفحة	متن الآية
سورة البقرة		
١٤	١٥٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى ..﴾
١١٥	١٠٤	﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾
١٦٩		
١٧١	٦٥	﴿يَنعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ ...﴾
١٥٣		
١٨٩	٨٤-٧٦	﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾
سورة آل عمران		
١٨	٤٢-٣١	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ...﴾
سورة النساء		
٣٦	٢١	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
١٤٢	١٥٤	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَآؤُونَ ...﴾
سورة المائدة		
٦٤	١١٢	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ...﴾
١١٦	٦٦-٤٣	﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴿٦٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ...﴾
١١٧		
سورة الأنعام		
٦٢	١٥٩	﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾
٩١	٤٩	﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾
٩٣	١٢٣	﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

سورة الأعراف

١٧٠	١٨٠	﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا ...﴾
١٣٢	١٨٨	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

سورة الأنفال

٥٥	١٧	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
١٢٣	٣١	﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾

سورة التوبة

١١١	٧٤	﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً ...﴾
-----	----	---

سورة يونس

١٩١	٣٢	﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾
-----	----	---

سورة هود

٩٧-٩٦	١١٢	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
-------	-----	------------------------------

سورة يوسف

٦٤	٧٦	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
----	----	-------------------------------------

١٠٤

١٩١

٤٠	١٠٦	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾
----	-----	---

٥٧

١٤٢

٣٤	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ..﴾
----	-----	---

سورة الرعد

٢٠	١٥	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾
٣٨	٣٣	﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

سورة الحجر

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا...﴾ ٢١ ٣٥

سورة النحل

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ٦٠ ٧٢

١٦٧

سورة الإسراء

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا...﴾ ٤٤ ٢٠

﴿الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ٨١ ١٨٤

﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا...﴾ ١١٠ ٦٥

سورة الكهف

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ...﴾ ١٧ ١٧٩

﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ١٠٤ ١٤٤

سورة طه

﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤ ٧٨-٦٠

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ ١٤٣

سورة الأنبياء

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٣٠ ١٢٥

سورة المؤمنون

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٧١ ١٥٠

سورة النور

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ٣٥ ٧٢-١٧

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٤٠ ١٨٩

﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ٤١ ٩٤

سورة القصص

٤٤	٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾
١١١		
١٨٢		

سورة العنكبوت

٩٥	٤٥	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ...﴾
----	----	--

سورة الأحزاب

٧٢	٤٦	﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
----	----	---

سورة سبأ

١٥٥	١٣	﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ...﴾
-----	----	---

سورة فاطر

١٥٥	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
-----	----	--

سورة يس

٣٥	١٢	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾
----	----	---

سورة الزمر

٦٥	٩	﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
----	---	--

١٢٣

سورة غافر

١٦٢	١٦	﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
-----	----	---

١٦٩

سورة فصلت

٩٠	٣٥	﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو...﴾
----	----	---

٩٧

١٥١

٨٧-٧٣	٥٣	﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى...﴾
١٦٧	٥٣	﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
		سورة الشورى
٢٢	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
٨٩	١٥	﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
		سورة الزخرف
٩١	٥٧	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
٩١	٥٧	﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا...﴾
	٥٨	
	٥٩	
		سورة الفتح
٣٩	١٠	﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾
		سورة ق
٣٥	٤	﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾
١٩١	٣٧	﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
		سورة النجم
٣٨	٩	﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾
		سورة الرحمن
٥٤	٣	﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾
		سورة الحديد
١٨	١٣	﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ...﴾
		سورة النازعات
١٥٩	٤٠	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

١ ٢٢-٤٢

فهرس الروايات الشريفة

الصفحة	القائل	متن الرواية
١٤٤	أحدهم عليه السلام	أ لست بربكم
١٥٠	أحدهم عليه السلام	أتشكوي ولست أهلاً للشكوى، تريد أن ..
٦٧	الرسول ﷺ	آدم ومن دونه تحت لوائي
١٧٨	علي عليه السلام	إذا كان الشيء من مشيئته
٣٩	أحدهم عليه السلام	إذا شئنا شاء الله، ونحن محال مشيئة الله
٤٧	أحدهم عليه السلام	إذا كان الشيء من مشيئته
٤٨-٣٤	الحجة عليه السلام	أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك ...
١٨١	علي عليه السلام	اعرفوا الله بالله
١٩	الرسول ﷺ	أعطيت في علي تسع خصال : ثلاثاً في ...
١٩	الرسول ﷺ	أعطيت لواء الحمد وعلي حامله
١٨٢	الحسين عليه السلام	إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، ...
٩٠	علي عليه السلام	إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله ...
٦١	أحدهم عليه السلام	إن الكرويين قوم من شيعتنا، من الخلق الأول
١٨٨	الصادق عليه السلام	إن الله علم لا جهل فيه، وحياة لا موت ...
١٥٨	أحدهم عليه السلام	إن إلياس عليه السلام لما سأل الله في سجوده ...
١٧	الرسول ﷺ	إن خياركم أولو النهى قيل : يا رسول ..
٦٨	أحدهم عليه السلام	إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة
٤٨	الصادق عليه السلام	إن لنا مع الله حالات، هو فيها نحن ...

- أنا ذات الذوات، والذات في الذوات ... أحدهم عليه السلام ١٣٠
- أنا مدينة العلم وعلي بابها الرسول صلى الله عليه وآله ٨٤
- أنا من محمد كالضوء من الضوء علي عليه السلام ٣٦
- أنت مني بمنزلة الرأس من الجسد الرسول صلى الله عليه وآله ٣٧
- أنت نفسي التي بين جنبي الرسول صلى الله عليه وآله ٣٧
- إنما تكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه ... الرضا عليه السلام ٨١
- إنما سمي أولو العزم أولي العزم؟؛ لأنهم ... الرضا عليه السلام ١٥١
- أنه صلى الله عليه وآله إذا تكلم التفت بجميع بدنه الرسول صلى الله عليه وآله ٩٦
- إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ... الصادق عليه السلام ١٨
- التوحيد ألا يتوهمه علي عليه السلام ٢٣
- توحيده تميزه عن خلقه، وحكم التمييز ... علي عليه السلام ٥٢-٢٢
- جاء خبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين ... الصادق عليه السلام ٣٦
- حق وخلق لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما الرضا عليه السلام ١٩٠
- الحمد لله مدهر الدهور، وقاضي الأمور ... علي عليه السلام ١٣٠
- خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق ... أحدهم عليه السلام ١٩٠-١١٩
- خلقتك لأجلي، وخلقت الخلق لأجلك قدسي ٧٢
- خلقني الله وعلياً نوراً واحداً - إلى أن قال .. الرسول صلى الله عليه وآله ٣٧
- ذهب الناس إلى عيون كدرة، يفرغ ... علي عليه السلام ١٣٤-٤٨
- رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه لأني ... علي عليه السلام ١٢٤
- رأيت وأنا إلى الآن أسأل عنه، ... إلخ علي عليه السلام ٩٦
- الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي ... الرسول صلى الله عليه وآله ٧٣-١٠٩
- شيبتي سورة هود الرسول صلى الله عليه وآله ٩٧

٧٢	قدسي	ظاهر ك للفناء، وباطنك أنا
١٠٢	أحدهم عليه السلام	عالم إذ لا معلوم والعلم ذاته، وقادر إذ ...
١٤٧	علي عليه السلام	علة ما صنع صنعتته وهو لا علة له
٤٨	أحدهم عليه السلام	العلماء ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على ...
٧٠	الباقر عليه السلام	العين علمه بالله، والباء بونه عن الخلق ...
٣٦	الحسين عليه السلام	فبهم ملأت سماءك وأرضك، حتى ظهر ...
١٤٨	الرسول ﷺ	الفقر سواد الوجه في الدارين
١٤٨	السجاد عليه السلام	الفقر في اللغة الاحتياج، وهو على ثلاثة ...
١٥٩	علي عليه السلام	فهمني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي ...
١٢٦	أحدهم عليه السلام	قف يا محمد إن ربك يصلي
١٤٨	الرسول ﷺ	كاد الفقر أن يكون كفراً
١٦٤	الرسول ﷺ	كان الله ولا شيء معه، وكذلك الآن
١٦٣	أحدهم عليه السلام	كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما ..
٢٧	علي عليه السلام	كل ما ميّزتموه بأوهامكم، في أدقّ معانيه ...
٥٥	السجاد عليه السلام	كلهم صائرون إلى حكمك، وأمورهم ...
٢٤	قدسي	كنت كنزاً مخفياً فأُحييت أن أعرف ...
٣٧	الرسول ﷺ	كنت وعلياً نوراً واحداً، فافترقنا نصفين
١٢٦	أحدهم عليه السلام	لا تدعونا أرباباً، وقولوا فينا ما شئتم ...
١٤١	الرسول ﷺ	لا تسبو الدهر فإن الدهر هو الله
١٧٥	علي عليه السلام	لا تقل ما هو لأنه خلق الماهية
١٥٥	أحدهم عليه السلام	لا علم إلّا خشيتك، ولا حكم إلّا الإيمان ..
٨١	أحدهم عليه السلام	لقد تجلّى الله لعباده في كلامه ولكن لا ...

- لم تحط به الأوهام، بل تجلّى لها بها ... علي عليه السلام ٣٠-٤١ -
- ١٦٨-٨٢ -
- ١٧٣
- لم يزل الله ﷻ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم الصادق عليه السلام ١٠٢
- لم يستينوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى .. أحدهم عليه السلام ١١٢
- لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له ... الباقر عليه السلام ٩٥
- لو عرفت الله بمحمد ما عبدته علي عليه السلام ٥٦
- لو علم المصلي من يناجي ما التفت أحدهم عليه السلام ٩٥
- لو كشف الغطاء لما اخترت إلّا الواقع أحدهم عليه السلام ١٤٩
- لولاك ما خلقت الأفلاك قدسي ٧٢
- ليس ياله من عرف بنفسه، هو الدال ... علي عليه السلام ٢٢
- ما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى ... قدسي ٥٥
- ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً ... علي عليه السلام ٥٧-١٥٥
- ما لله ﷻ آية أكبر مني علي عليه السلام ٩١
- ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني ... قدسي ٧٠
- من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان ... أحدهم عليه السلام ١٤١
- من سأل عن التوحيد فهو جاهل علي عليه السلام ٢٧
- من عرف نفسه فقد عرف ربه علي عليه السلام ٤١-٧٨
- ١٢٥
- ١٦٨-١٢٧
- من وصف فقد أثبت، ومن لم يصف فقد علي عليه السلام ٢٩
- من وصف فقد أثبت، ومن لم يصف فقد ... علي عليه السلام ٨٠
- نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية .. علي عليه السلام ٩٠

٢٥	علي عليه السلام	نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا ...
١٥٨	الصادق عليه السلام	نعم ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد ...
٥٦-٣٨	علي عليه السلام	نور أشرق من صبح الأزل، فيلوح على ...
١٧٦		
١٨٩	الباقر عليه السلام	هل سمي عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم ...
١٨٨	أحدهم عليهم السلام	والله حياة لا موت فيه، وعلم لا جهل ...
١٢٩	السجاد عليه السلام	وأما المعاني فنحن معانيه، وظاهرة فيكم ...
٩٨	علي عليه السلام	وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها ...
٨٠-٢٥	علي عليه السلام	وكمال توحيده [الإخلاص له، وكمال ...
٦٧	الرسول ﷺ	وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين
١٥٧-٣١	قدسي	وليس لمحبي غاية ولا نهاية كلما رفعت ...
٢٧	أحدهم عليهم السلام	ومن عرف التوحيد فهو ملحد، قد ...
٢٨	أحدهم عليهم السلام	ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر
٣٨	الهادي عليه السلام	ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده ...
١٢٦	الصادق عليه السلام	يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته ...
١٢٩	الباقر عليه السلام	يا جابر عليك بالبيان والمعاني قال : قلت ...
١٤١	أحدهم عليهم السلام	يا دهر يا دهور
٦٠	أحدهم عليهم السلام	يا رب كيف الوصول إليك فأوحى ...
٣٧	علي عليه السلام	يا سلمان ويا جندب، قالا : لبيك يا أمير ...
٧٤	قدسي	يا عبدي أطعني تكن مثلي، أقول للشيء ...
٣٥	الرسول ﷺ	يذود علي عنه يوم القيامة من ليس من ...

فهرس المصادر والمراجع للكتاب

❁ القرآن الكريم .

١- أصول الكافي؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الأسوة للطبعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون

الخيرية، إيران : الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

٢- إجازات الحاج ميرزا موسى الأسكوئي، «مخطوط» .

٣- إقبال الأعمال الحسنة؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحلبي، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى :

«١٤١٧هـ» .

٤- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل؛ للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجليبي، المتوفى عام : «٨٠٥هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٠هـ» .

٥- الاختصاص؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة السادسة : «١٤١٨هـ» .

٦- الاحتجاج؛ لأبي منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد : «١٤٠٣هـ» .

٧- إرشاد القلوب؛ للحسن بن أبي الحسن الديلمي، المتوفى عام : «٨٤١هـ»، دار الأسوة للطبعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، إيران : الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

٨- بحار الأنوار؛ للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام : «١١١٠هـ»، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، «١٤٠٣هـ» . دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة : «١٤٠٣هـ» .

٩- بصائر الدرجات، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار؛ المتوفى عام : «٢٩٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، طهران : «١٤٠٤هـ» .

١٠- البلد الأمين؛ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، المتوفى عام : «٩٠٥هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٥هـ» .

١١- تراجم الرجال؛ للسيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة : «١٤١٤هـ» .

١٢- تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر، المتوفى عام : «٥٧١هـ»، تحقيق : علي شيري، دار الفكر، «١٤١٥هـ» .

١٣- تهذيب الكمال؛ لأبي الحجاج يوسف المزي، المتوفى عام : «٧٤٢هـ»، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة : «١٤٠٦هـ» .

١٤- التوحيد؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

١٥- تفسير العياشي، للمحدث الجليل أبي النصر محمد بن عيَّاش، المتوفى عام : «٣٢٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

١٦- تفسير الصافي؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، منشورات مكتبة الصدر، إيران طهران، الطبعة الثانية : «١٤١٦هـ» .

١٧- تفسير الصراط المستقيم؛ لعلي بن يونس النباطي البياضي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٤هـ» .

- ١٨- تفسير القمّي؛ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٢ هـ» .
- ١٩- تفسير كنز الدقائق؛ لميرزا محمد بن محمد رضا إسماعيل بن جمال الدين المشهدي القمي، المتوفى عام : «١١٢٥ هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة : «١٤١٤ هـ» .
- ٢٠- تفسير نور الثقلين؛ للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى عام : «١١١٢ هـ»، تحقيق : السيد هاشم رسول المحلاقي، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة، الطبعة الرابعة : «١٤١٢ هـ» .
- ٢١- تمذيب الأحكام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٣٨٥ هـ»، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران : «١٣٦٥ هـ ش» .
- ٢٢- الخصال؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١ هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠ هـ» .
- ٢٣- الخرائج والجرائح؛ للفتية المحدث والمفسر الكبير قطب الدين الراوندي؛ المتوفى عام : «٥٧٣ هـ»، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤١١ هـ» .
- ٢٤- خصائص الأئمة عليهم السلام؛ للشريف الرضي، المتوفى عام : «٤٠٦ هـ»، تحقيق : د محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد : «١٤٠٦ هـ» .
- ٢٥- الجواهر السنية؛ لمحمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤ هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٢ هـ» . ومكتبة المفيد، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .
- ٢٦- الجامع الصغير؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى عام : «٩١١ هـ»، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠١ هـ» .

٢٧- جامع الأسرار ومنبع الأنوار؛ للسيد حيدر الآملي، تصحيح هنري كربين، وعثمان إسماعيل يحيى، شركة انتشارات علمي، إيران : «١٣٦٨هـ» .

٢٨- روضة الواعظين؛ لمحمد بن الحسن الفتال، المتوفى عام: «٥٠٨هـ»، الناشر دار الرضي، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .

٢٩- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات؛ لميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

٣٠- الرواشح السماوية؛ لمحمد باقر الحسيني المرعشي الداماد، المتوفى عام : «١٠٤١هـ»، مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة إيران، «١٤٠٥هـ ش» .

٣١- سبل الهدى والرشاد؛ لمحمد بن يوسف الصالح الشامي، المتوفى عام : «٩٤٢هـ»، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ» .

٣٢- السرائر؛ ابن إدريس الحلبي، المتوفى عام : «٥٦٨هـ»، الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٤١٠هـ» .

٣٣- شرح فنج البلاغة؛ لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، «ب-ت-ط» .

٣٤- شرح القصيدة؛ للسيد كاظم الحسيني الرشتي، المتوفى عام : «١٢٥٩هـ»، «حجري» .

٣٥- شرح الفوائد؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تفتت، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» . «حجري» .

٣٦- شذرات ذهب في أخبار من ذهب؛ للشيخ عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

- ٣٧- صحيفة الأبرار؛ تقي المامقاني، تبريز : «١٣٨٨هـ» .
- ٣٨- الصحيفة السجادية؛ للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، المتوفى عام : «٩٥هـ»، نشر الهادين قم المقدسة : «١٣٧٦» .
- ٣٩- طبقات النحويين واللغويين؛ للزيدي، تحقيق : أبي الفضل إبراهيم، دار التعارف بمصر : «١٩٧٣م» .
- ٤٠- عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى في : «القرن العاشر»، دار سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .
- ٤١- عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، عام : «٣٨١هـ»، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٣٧٨ ق» .
- ٤٢- علل الشرائع؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٨هـ» .
- ٤٣- علم اليقين في أصول الدين؛ للمولى محمد بن مرتضى المدعو بملا محسن الفيض الكاشاني، تحقيق : الأستاذ محسن بيدارفر، دار البلاغة، بيروت لبنان، الأطلعة الأولى : «١٤١٠هـ» .
- ٤٤- الفصول المهمة في أصول الأئمة؛ للحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، تحقيق : محمد بن محمد حسين، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .
- ٤٥- فروع الكافي؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة : «١٣٦٧هـ» .
- ٤٦- قصص الأنبياء عليهم السلام؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢هـ» .

٤٧- قاموس المذاهب والأديان؛ د. حسين علي حمد، دار الجليل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٩هـ» .

٤٨- كشف الخفاء؛ لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى عام : «١١٦٢هـ»، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٤٩- الكنى والألقاب؛ للشيخ عباس القمي، تقدم : محمد هادي الأميني، منشورات مكتبة الصدر، طهران إيران، الطبعة الخامسة : «١٤٠٩هـ» .

٥٠- كنز العمال؛ للمتقي الهندي، المتوفى عام : «٩٧٥هـ»، تحقيق : الشيخ بكرى حياني، والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٥١- مستدرك سفينة البحار؛ للشيخ علي النمازي الشاهرودي، المتوفى عام : «١٤٠٥هـ»، تحقيق : الشيخ حسن بن جمعة النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤١٩هـ» .

٥٢- منهاج السالكين؛ للشيخ على نقى الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤٦هـ» .

٥٣- من لا يحضره الفقيه؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ» .

٥٤- مستدرك الوسائل؛ للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام : «١٣٢٠ أو ١٣٣٠هـ»، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٥٥- مشرق السمسين؛ للشيخ بهاء الدين العاملي، المتوفى عام : «١٠٣١هـ»، الناشر مكتبة بصيرتي، «١٣٩٨هـ» .

٥٦- مشارق أنوار اليقين؛ للحافظ رجب البرسي، المتوفى عام : «٨١٣هـ»، تحقيق : السيد جمال السيد عب الغفار أشرف المازندراني، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٢٢هـ» .

- ٥٧- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون؛ للعلامة محمد علي التهانوي، تحقيق : د. علي دحروج، تقديم وإشراف د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٩٩٦م» .
- ٥٨- موسوعة الأديان والمذاهب؛ د. سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٩٩٨م» .
- ٥٩- الملل والنحل؛ لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، المتوفى عام : «٥٤٨هـ»، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان : «١٩٩٨م» .
- ٦٠- مناقب آل أبي طالب؛ محمد بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام : «٥٥٨هـ»، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٧٦هـ» .
- ٦١- مدينة المعاجز؛ للسيد هاشم البحراني، المتوفى عام : «١١٠٧هـ»، تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى : «١٤١٣ ق» .
- ٦٢- معجم الكلام؛ لآية الله السيد محمد الحسيني الميلاني، انتشارات تابان، «١٤١٧هـ» .
- ٦٣- معجم الفرق الإسلامية؛ ؛ للسيد يحيى شريف الأمين، دار الأضواء - بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٦هـ» .
- ٦٤- مفاتيح الأنوار؛ للعلامة الشيخ محمد آل أبي خمسين، المتوفى عام : «١٣١٦هـ»، تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران، توزيع دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .
- ٦٥- مصباح المتجهد؛ لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٤٦٠هـ»، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى المصححة : «١٤١٨هـ» .
- ٦٦- مصباح الكفعمي؛ لإبراهيم بن علي الكفعمي، دار الرضي «الزاهدي»، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

- ٦٧- مصباح الشريعة؛ للإمام جعفر الصادق عليه السلام، المتوفى عام : «١٤٨هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «١٤٠٠هـ» .
- ٦٨- نور البراهين؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .
- ٦٩- فنج البلاغة؛ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المتوفى عام : «٤٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٣هـ» .
- ٧٠- فنج المحجة، للشيخ علي نقي الأحسائي تفتي، المتوفى عام : «١٢٤٦هـ» .
- ٧١- نصب الراية؛ لجمال الدين الزيعلي، المتوفى عام : «٧٦٢هـ»، تحقيق : أيمن صالح شعباني، دار الحديث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى : «١٤١٥هـ» .
- ٧٢- وسائل الشيعة؛ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٣هـ» .
- ٧٣- الهداية الكبرى؛ لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيني، المتوفى عام : «٣٣٤هـ»، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة : «١٤١١هـ» .
- ٧٤- ينابيع المودة لذوي القربي؛ للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى عام : «١٢٩٤هـ»، مؤسسة دار الأسوة، الطبعة الأولى : «١٤١٦هـ» .

فهرس المواضيع العامة للكتاب

الإهداء	٥
حياة المصنف قدس	٧
صورة المخطوطة	١٣
تمهيد من الشارح قدس	١٧
تمهيد من الماتن	١٩
التوحيد حقيقته ومراتبه	٢١
معنى الواحد والمحمود	٢٨
معنى الشاهد والمشهود بالنسبة لله تعالى	٣١
الشهادة بالألوهية تستلزم الشهادة بالنبوة	٣٣
مراتب التوحيد	٣٩
التوحيد وفناء العبد فيه	٤٣
الجوهر الأول / في الموحد	٥٤
مقامات الفناء	٦١
بحث في الحقائق الإلهية	٤٧
كمالات الذات المقدسة	٧٥
بحث في الصورة الإنسانية	٨٩
رجوع السالك إلى الأصل بترك الأعمال الظاهرة	٩٣
في معنى المعاني الكمالية	٩٨
الفرق بين ذات السالك الممكنة والذات الإلهية	١٠٧
معنى الفقر الحقيقي	١٠٩

١١٠	الفرق بين صفات السالك وصفات الله تعالى
١٣٢	المراد من السلطنة
١٣٣	المعرفة العلمية والوصول إلى المطلوب
١٣٦	مراتب الوجود
١٤٧	أقسام الفقر
١٥١	مراتب الفقر
١٥٢	الرجاء والخوف والفقر الحقيقي
١٦٠	عود على بدء في أقسام الوجود
١٧٠	الوجود المطلق
١٧٤	الوجود المقيد
١٧٩	العالم محدث بكل الاعتبارات
١٨٠	المسألة الأولى / في الواجب والقديم
١٨٢	المسألة الثانية / في صفات الله وهل ألها لاحقة في الوجود بذاته؟
١٩١	المسألة الثالثة / هل صفاته تعالى كاملة؟
١٩٩	فهرس الآيات الكريمة
٢٠٥	فهرس الروايات الشريفة
٢١١	فهرس المصادر والمراجع للكتاب
٢١٩	فهرس المواضيع العامة للكتاب
٢٢١	من أعمال المحقق

من أعمال المحقق

- ١) السلوك إلى الله ﷻ .
تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٥هـ» .
- ٢) مسائل حكيمية «أجوبة مسائل الشيخ محمد القطيفي» .
تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٤هـ» .
- ٣) أسرار أسماء المعصومين عليه السلام .
تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٤هـ» . والثالثة : «١٤٢٦هـ» .
- ٤) خصائص الرسول الأعظم ﷺ والبضعة الطاهرة عليها السلام .
تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» . والثانية : «١٤٢٦هـ» .
- ٥) العصمة «بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام» .
تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .
- ٦) أحوال البرزخ والآخرة .
برؤية : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٤هـ» . والثالثة : «١٤٢٥هـ» .

(٧) الأربعون حديثاً .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ» .

(٨) أسرار العبادات .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ»، والثالثة : «١٤٢٦هـ» .

(٩) القضاء والقدر .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٦هـ» .

(١٠) شرح العرشية .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٦هـ»، والثانية : «١٤٢٧هـ» .

(١١) رسالة الطبيب البهبهاني .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس .
سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٧هـ»، والثانية : «١٤٢٨هـ» .

(١٢) الرسالة الوعائية .

تأليف : لشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨هـ» .

(١٣) الرسالة العلمية .

تأليف : الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس .
سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨هـ» .

١٤) شرح رسالة التوحيد .

تأليف : الشيخ علي نقوي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨ هـ» .